راسبوتين
Распутин, Григорий Ефимович
بين القداسة والدناسة
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة
عصام عبد الفتاح

راسبــوتيــن

بين القداسة.. والدناسة!!



اسم الكتاب: راسبوتين بين القداسة.. والدناسة!!

اسم المؤلف: عصام عبد الفتاح

المراجعة اللغوية والتدقيق: حسام الكاشف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٦١٤١/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-355-2

التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النوري - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١

لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات

E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

راسبوتين

بين القداسة.. والدناسة!!

◆

عصام عبد الفتاح

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

لا .. إهـــداء

إلى كل حاكم ظالم

وفقيه مدعٍ يبرر لطواغيت هذا الزمان أفعالهم..

ويلوي حروف القرآن ونصوص السنة ليُحِلَّ لهم الحرامَ.. ويُحَرِمُ لهم الحلالَ..

هذا هو التاريخ..

وهذه هى النهاية.. فهل من معتبر ؟!

عصام عبد الفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقـديـم

من رحم الغيب والمجهول.. اقتحم صفحات التاريخ ذات يومٍ رجل يرتدي ثياباً كهنوتية.. قادماً من روسيا معقل القياصرة.. ليفرض نفسه على الجميع بقوة وليقلب كل الموازين رأساً على عقب.

إنه (راسبوتين) ذلك الرجل الذى قيل عنه إنه راهب.. بينما كان لايحمل من صفات الرهبان إلا مسوحاً يرتديها.. وترانيم غامضةً يتمتم بها في وجوه الآخرين.. ونظراتٍ يتسلط بها عليهم فيسلبهم إرادتهم في لحظات.

وتحت رداء القديسين كان يسكن كشيطان.

صولجانه الوهم.

وحقيقته سكير وعربيد.

ومحبرة ريشته التي كتب بها صفحات أسطورته كان مدادها حبراً أسود صنعه من جهل الناس وسذاجتهم.. وبعض ضرباتٍ من الحظ .. والمصادفة.. وشيء من غرائب الأحداث .

فضد وعكس كل ما هو منطقي.. وعقلاني سارت الأحداث بهذا الرجل.. لتنسج الأقاويل والشائعات حوله خيوط أسطورة تصعد به لقمة اللاعقل على جناحي.. الشعوذة.. والقيصرية.. على نحوٍ قلما تشهد أحداث التاريخ بتكراره.. التاريخ الذي يرفض أن يمنحنا عن هذا الرجل إلا صورة غامضة الملامح تماماً.. شديدة البشاعة ما بين القداسة.. والدناسة.

فهل كان "راسبوتين" كذلك بحق ؟..

ولعل الصياغة الأنسب للسؤال تكون هكذا.. (هل هناك إنسان يستطيع أن يكون هكذا بحق ؟).. فكيف يمكن لرجلٍ لا يعدو كونه دجالاً... ومشعوذاً.. أن يكون له هذا الدور الكبير والمباشر في صياغة مجتمع أنجب العديد من عباقرة الفكر والسياسة والأدب؟.. وكان البوتقة التي انطلقت منها واحدة من أهم الثورات في تاريخنا المعاصر.. بعد أن استطاع بدهاء غير مسبوق أن يُحكم سيطرته على الحكم في روسيا.. لتنهار على يديه امبراطورية عَمّرَتْ هناك أكثر من ثلاثة قرون.. ليذهب بلا رجعة حكم آل روما نوف..

كيف لإنسانٍ أن يكون بكل تلك البشاعة.. ؟

سؤال محير للغاية يطرح داخله نقاطاً عديدة تثير وتستفز كل من يحاول القراءة في سيرة "راسبوتين".. الذي كان محيراً في حياته.. مثلما كان كذلك تماماً في مماته.. فعندما لقى حتفه تبين أنه كتب رسالة بخط يده للقيصر قبل مقتله تحوي نبوءات غريبة.. كان من بينها أنه هو شخصياً سيقُتل وسيقُتل بعده القيصر وعائلته المالكة بالكامل.. وكأنه في تصادف ملفت للنظر.. يقتحم بقفاز نبوءاته رحم التاريخ ليولّد منه أحداثاً جساماً هزت العالم أجمع.. والغريب أنها تحققت جميعها بالكامل فيما بعد مقتله مباشرةً.. وعلى مدار سنوات تالية.. فبعد فترة وجيزة من اغتياله.. قامت الثورة البلشفية.. وبعدها بعام واحد تم إعدام قيصر روسيا "نيقولا الثاني" وجميع أفراد عائلته.. لتنطلق بعدها الشيوعية.. وكل هذا كان من بين نبوءاته ..

وفي كتاب (راسبوتين وسقوط القياصرة).. يقول المؤلف البريطاني "كولن ولسن": "إن أغلب رموز التاريخ الحديث عجزت أن تثير حول شخص واحد كل هذا الكم الهائل من الأدب الحسي واللاواقعي.. كما أثارته حول جريجوري راسبوتين"..

وإذا سلمنا بأن سمت وطبيعة الإنسان تدفعانه في كثير من الأحيان للبحث عمن يطلعه بالوهم ويرجم له بالغيب باحثاً عن مستقبل مجهول.. أو شفاءٍ من مرضٍ ما.. وما إلى آخره.. فلا بد أن يتوسم الإنسان في مثل هذا الشخص العلم والمصداقية.. هذا فضلاً عن طهارته .. وهي كلها صفات أدرك "نيقولا الثاني" آخر قياصرة روسيا بنفسه- فيما بعد- أن راسبوتين كان أبعد ما يكون عنها.. وتيقن تماماً أنه ليس أكثر من مشعوذ مدعٍ.. لا يزيد عن كونه فلاحاً.. جاهلاً..

لكن بالرغم من كل ذلك تركه يقوده ويرسم له سياسة دولته.. وانساق وراءه بلا وعي.. للدرجة التي لم يكن معها ليستطيع أن ينُهيّ أمراً.. أويتخذ قراراً دون مشورته والرجوع إليه.

ألهذا الحد كان هذا الحاكم ضعيفاً.. حتى يحتاج إلى شيطانٍ مثل "راسبوتين" يبرر له أفعاله بحق شعبه ؟.. أم كان يرى فيه رجل دين كان هو بحاجةٍ لمثله ليؤمّن له حتى ولو بالوهم استقرار مملكته وراحة ضميره المفقودة؟

وأين مكامن القوة في شخصية هذا المدعي حتى يسايره القيصر.. وتنصاع له صفحات التاريخ بهذا الشكل ليسطر فيها ما شاء ؟

الحقيقة أن هذه الأسئلة ليست وحدها التي تطل علينا من بين ثنايا سيرة راسبوتين.. بل هناك العديد.. والعديد من الأسئلة الأخرى التي نزعم أنها بقيت.. وستبقى للأبد بلا إجابة.. نجتهد عبر صفحات هذا الكتاب للإجابة عن البعض منها ..

عصام عبد الفتاح

بورتريه

راسبوتين يتحدى.. من أنا؟!!

ما زال راسبوتين واقفاً.. رافعاً هامته عند ناصية التاريخ الإنساني.. يبحث بتحدٍ يطل من عينيه الزرقاوين.. اللتين هما سر قوته.. وتأثيره المتناهي في الآخرين.. عن رجلٍ يستطيع أن يتحداه.. ليجيب عن السؤال الحائر الذي قذف به ذلك الغامض في وجه الجميع.. (من أنا.. ؟!) هل أنا قديس بحق ونبى من أنبياء آخر الزمان كما تخيلني أتباعي.. والمؤمنون بي.. أم شيطان ساق امبراطورية القياصرة إلى نهايتها.. ولأنه لم يسمع إجابةً لسؤاله لأنه هو نفسه الوحيد القادر علي الإجابة عنه.. بقى "راسبوتين" للأبد سؤالاً حائراً.. ونقطةً سوداء تعكر ذاكرة التاريخ الروسى القديم.. وتعددت الاجتهادات لفك طلاسم هذه الشخصية الغامضة.. والمبهمة.. ونحاول أن نجتهد نحن أيضاً لنرسم من بين ثنايا كل ما كتب عن هذه الشخصية.. بريشة القلم.. ومداد الكلمات.. صورة تبين لنا كيف كانت الملامح والسمات النفسية.. والجسدية لذلك الرجل الأسطورة.

السمات النفسية

المحيِّر:

ذكرعدد كبير جداً من الأشخاص الذين عاصروه أن لون عينيه كان يتغير أحياناً وهو يتحدث إليهم.. وهو ما يعتقد البعض أنه كان يتعمده لإثارة حيرة الآخرين وخوفهم منه.. وأنه كان يستخدم في ذلك التنويم المغناطيسي الذي كان علماً مجهولاً في ذلك الوقت وأقرب إلى السحر منه إلى العلم.. وكان هو ضليعاً فيه.

الزنديق.. ذو القدرات الخاصة:

كما تحدث كثيرون عن انغماسه التام في شرب الخمر.. وشبقه.. وقوة وتعدد علاقاته الجنسية بشكل غير طبيعي.. وأنه كان يتمتع بقوة روحانية خارقة لا يعلم سرها إلا الله عزّ وجل.. وكان يستغل كل ذلك لقضاء شهواته البهيمية التي لم يكن ليشبع منها على الإطلاق .. خاصةً من أولئك النساء اللائي سلمن له أجسادهن المريضة صاغرات.. وتحت تأثير التنويم المغناطيسي كن يفقدن كل قدرة لهن على المقاومة وهو يسلبهن أعز ما يملكن.. وحتى عندما كان أزواجهن يعلمون بما حدث.. ما كان أحد منهم يجسر على الانتقام أو حتى التعرض له.. أوالاقتراب منه خوفاً من شروره .

السلطوي:

كان راسبوتين يعشق السلطة وكل ما يقربه منها.. أما المادة فبالرغم أنها كانت أحد اهتماماته باعتباره وُلدَ وعاش سنواته الأولى في فقرٍ شديد.. إلا أنها لم تكن تعنيه كثيراً.. ولا شغله الشاغل.. فقد كانت تأتيه من حيث لايدري.. فلو أراد "راسبوتين" أن يكون أغنى أغنياء روسيا وقتها لأصبح.. وتلك هي إحدي حجج من يرون أنه كان

مظلوماً وبريئاً من كل مايشاع عنه من أقاويل.. لكن الحقيقة أن راسبوتين كان على يقين مطلق بأن ثمة قوة خارقة هى الأهم يمكن أن تُغير في حياته وحياة الآخرين الكثير.. هذه القوة هى السلطة.. فهى الأبقى دائماً والأقدر على صناعة حياة أفضل لكل أصحابها.. فالسلطة غالباً ما تأتي بالمال الذي يأتي تابعاً لها .

العنيد:

عرف عنه أنه كان قوي الشكيمة.. صلب الإرادة.. بشكل غير عادي.. وسيبدو هذا واضحاً وجلياً عندما نستعرض واقعة مقتله التي تورط فيها بعض النبلاء بعدما استشعروا هم والعديد من أبناء الشعب الروسي خطر هذا الكاهن الذي أصبح نفوذه أشبه بالأساطير.. فقتلوه بعد أن فشلوا في الإجابة عن سؤالهم.. وسؤالنا الحائر ..

ملامح "راسبوتين"

وحش غجري :

الصورة التي تحتفظ بها ذاكرة التاريخ عن هذا الرجل.. اللغز.. ترسم لنا ملامح خاصة.. أول ما يلفت النظر فيها وحشيته البهيمية المنطلقة من نظرات عينين تتوسطان وجهاً طويلاً شاحباً.. وفم شهواني دقيق.. وجبهة عريضة.. وشعر أشعث.. ولحية كثة.. وجسد ضخم يميل إلى طول القامة مع عراضة الصدر.. واتساع ما بين المنكبين .. تحتويه ملابس نادراً ما كانت مهندمةً أو نظيفة .. ذراعاه قويتان.. وراحتاه عريضتان وكأنهما لفرط ما بهما من قوةٍ كلابتان من الحديد.. بشكلٍ عام.. يبدو كوحشٍ غجريٍ هائل .

عيناه :

الأزرق الضارب إلى اللون الرمادي هو لون عينيه.. اللتين كان أعجب ما فيهما هو قدرته الخارقة على التأثير بهما في الآخرين.. وقيل إنه كان لديه مقدرةً خاصة علي توسيعهما.. وتصغيرهما كيفما شاء.. وحين ينظر بعينيه إلى شخصٍ ما.. يشعر هذا الشخص وكأن موجتين مغناطيسيتين تشدّانه للغوص فيهما.. فلا يسعه إلا الاستسلام لتلك النظرات التي تقتحم أعماقه المجهولة وتتسلط على عقله.. وإرادته.. وكان بمجرد أن ينظر بهما إلى إمرأةٍ ما تشعر المرأة وكأنها مسحورة.. فتمضي مسلوبة الإرادة إلى ذلك الوحش لتجثو أمام قدميه وهى ترتعد.

مؤثر في الآخرين :

وأول ما يخطر بالبال أن ذلك قطعاً كان سر انجذاب النساء الشديد إليه منذ بواكير مراهقته وبلوغه مبلغ الرجال.. لكن لم يكن ذلك للنساء فحسب.. بل أن

الرجال أنفسهم لم يكن أحدهم يجد في نفسه القدرة على مواجهة تلك النظرات.. أو التحديق في عينيه طويلاً.. فينحون عيونهم.. أو يغضون أبصارهم أمام بريق هذه القوى الخفية التي تشع من عينيه.

الفاجر :

بدءاً من فترة مراهقته عرف باسم راسبوتين (أي الفاجر..) بحسب لهجة قريته.. وذلك لتعدد علاقاته الجنسية الفاضحة.. حيث كانت تصرفاته ككل في تلك الفترة تتسم بالتهور والطيش الشديدين.. مما جعله محل استياء شديد من سكان القرية الذين صلوا من أجل شفائه بالأمس وهو طفل[1].. وأصبحوا اليوم يتجنبونه.. ويبتعدون عنه تماماً .. وينصحون أبناءهم ممن هم في مثل سنه بعدم مخالطته.. أو مصاحبته.

عاداته :

كان إذا تحدث تحدث بهدوء.. وفي استعلاء.. وسخرية.. وعندما يتناول طعامه يفترش الأرض.. ويأكل.. ويلتقط ما تبقي منه في الأطباق بأصابعه وبنهم شديد.. رث الثياب.. نادراً ما يستحم أو ينظف جسده.. باختصار كان وضيعاً في كلِّ خصاله الشخصية.. حتى عندما علا نجمه.. وسكن في منزلٍ كبير أشبه بالقصر كانت غرفة نومه عبارة عن سرير خشبي حقير.. وسجادة مهترئة فقط .. لاغير.. لكن بالرغم من ذلك كان يحب الاستماع إلى الموسيقى.. خاصةً موسيقى الغجر.. ويمتلك جرامفون خاصاً يضعه دائماً في حجرة نومه.. وكان يطلب من خليلاته من المومسات اللائى كن يشاطرنه لياليه أن يتعرين تماماً أمامه.. وكثيراً ما كان يكتفي بالنظر إليهن.. وتحسس أجسادهن فقط .. وفي أثناء ذلك كان يطلق أصواتاً أشبه بعواء الذئاب.. ولكن بصوتٍ مكتوم.

---

(١) لذلك قصة سيلى ذكرها فى موضعها.

بعض ألقابه :

واشتهر "راسبوتين" بالعديد من الألقاب.. ذكرت في العديد من الكتابات التي تناولت سيرة حياته بمختلف اللغات.. منها (الشيطان المُقدّس.. صانع المعجزات.. الراهب الفاسق.. الماجن.. الساحر.. الداعر.. المشعوذ.. الفاجر.. القوى السوداء).. ويعتبر لقب راسبوتين الذي كان يعني بلغة أهل روسيا في هذا الوقت (الفاجر أو الفاسق الداعر.. أو القشة) هو الأكثر شهرة.. والذي أصبح علماً علي صاحبه.. وجميعها ألقاب لا تخلو من المبالغة وتستند للغموض الذي صاحب شخصيته التي لم تكن مفهومة بعلمية و موضوعية.. ولا نستطيع أن نغفل إطلاقاً ما سببه اندلاع نار الغيرة والحسد في قلوب بعض المحيطين به.. والتي ربما كانت وراء إطلاق بعض هذه الألقاب عليه..

النشأة..وملامح التكوين..!!

الفصل الأول

النشأة.. وملامح التكوين..!!

كانت وما زالت سيبيريا تلك المدينة التي تقع في الشمال حيث أقصى المناطق الروسية برودة و فقراً.. تشكل إحدى أهم المعضلات وأخطرها فى حياة روسيا عبر تاريخها الطويل.. خاصةً في فترة حكم آل روما نوف.. فبالرغم من موقعها وأهميتها الجغرافية.. وثرواتها الطبيعية التى لم يتم الكشف إلا عن جزء يسير منها حتى الآن.. إلا أن أهلها معظمهم من الفلاحين الأجراء.. يرزحون تحت مظلة فقر مدقع.. وفيما بعد ظهور "راسبوتين" وتفجر أسطورته جسّدت تلك المدينة فى وعى ومخيلة المواطن الروسى رمزاً وموطناً للدجل والشعوذة.. في نفس الوقت الذي كانت هى المنفى الذى يفضل دوماً حكام روسيا أن يقذفوا فيه بكل من يغضبون عليه [1].. صورة ذات أبعاد مأساوية لا يمكننا إطلاقاً أن نفصلها عن العديد من التداعيات الخاصة بقصة راسبوتين.. وأثره في التاريخ الإنساني .

قرية بوكرفسكي :

وفي منتصف المسافة بين سيبيريا والغابة ملتفة الأشجار القريبة منها تقع قرية ريفية صغيرة منعزلة عن سائر القري الأخرى تسمى قرية بوكرفسكي (Pokrovskoïé) .. حيث لا مدارس و لا كنائس ولا مصادر لأيّة ثقافة اجتماعية..

---

(١) ربما نظراً لصعوبة تضاريس وقسوة الحياة في هدا الاقليم فضل دوماً حكام روسيا نفي أعدائهم.. والمغضوب عليهم.. والخارجين عن القانون هناك.. وترتفع سهول سيبيريا باتجاه الشرق وراء وادي نهر الينيسي حيث هضاب. أو هضبة. سيبيريا الوسطى.. وهى ذات تضاريس معقدة وصخور متنوعة حدتها أودية الأنهار وروافدها الكثيرة المنتهية إلى نهري الينيسي ولينا وغيرهما من أنهار تصب في المحيط المتجمد الشمالي وبحاره الهامشية.. وتتراوح الارتفاعات المتوسطة لهضاب سيبيريا الوسطى بين ٥٠٠-٧٠٠م وتصل أعلى نقطة فيها إلى ١٧٠١م فوق سطح البحر في هضبة بوتورانا.

أو روحية.. هناك ولدجريجوري يافيموفيتش(Grigori Efimovitch) الذي سيعرف فيما بعد بلقب "راسبوتين".. وكانت ولادة "راسبوتين" تحديداً في ليلة العاشر من يناير من عام ١٨٧١[1].. وهناك أسطورة روسية تتداولها بعض الكتب تتحدث عن مولده.. تقول الأسطورة .

أسطورة مولده :

إنه في يوم ٢٣ من ديسمبر من سنة ١٨٧١.. اخترق شهابٌ لامع سماء قرية بوكرفسكي في سيبيريا.. معلناً أنه سيولَدُ في هذا العالم وتحديداً في هذه القرية طفلٌ متميّز.. وستكون شخصيته فيما بعد خارقة لكل ما هو مألوف ومعروف.. وسيتمتع هذا الطفل بقدرات روحية غريبة ويحظى بدعم إلهيّ متميّز ليكون في خدمة المحتاجين لرحمة الله وكرمه . .والأسطورة بهذا النحو غير معروف مصدرها.. لكنها ذكرت هكذا في العديد من الكتب التي تناولت سيرة راسبوتين ..

مجون متوارث :

وأجمعت كل الكتابات أن "راسبوتين" ولد لأسرة ريفية من سكان تلك القرية.. كانت مجرد أسرة كادحة من الفلاحين.. حياتهم كانت في غاية البساطة والفقر.. أميّون لا يعرفون القراءة.. ولا الكتابة.. ولا يهتمون بأن يعرفوا.. أو يعرّفوا أبناءهم شيئاً عنها.. فهى ترف لا يقدر عليه إلا الأغنياء منهم.. الأب كان يدعى (إيفيم إيكافوليتش Iefim Iakovlevitch) والأم (آنا فالوفينا AnnaVassilievna) وكانوا يحيون حياتهم تماماً مثل باقي أهالي القرية.. مزيج من العمل الشاق بالفلاحة نهاراً.. والهرب ليلاً إلى حانات الفودكا الفقيرة.. حيث يستسلمون لما

(١) اختلفت المصادر في تحديد عام ولادة راسبوتين بدقة.. فقد ذكر أنه ولد عام ١٨٦٩.. وفي رواية أخرى عام ١٨٧٠.. وأخرى عام ١٨٧١ .. وهى الأرجح .

يعينهم على نسيان واقعهم المرير.. وعرف عن الأب إدمانه الشديد للخمر.. وولعه بالنساء ولم يكن يلقي بالاً.. أو يهتم بتربية أولاده.. ويبدو أن "راسبوتين" ورث عن والده من تلك الخصال.. الخصلتين الأولى.. والثانية .

أهل القرية يصلون من أجل راسبوتين :

وكان لراسبوتين شقيق يكبره بعامين فقط اسمه (ميشيل) كانا الاثنان يتمتعان بصحة وقوة بدنية جيدة.. وفي إحدى الرحلات النهرية وقع الشقيقان في مياه النهر وأُصيبا بالتهاب رئوي حاد.. مات ميشيل متأثراً به بعد عدة أيام.. بينما ظل راسبوتين يصارع المرض والموت لعدة أسابيع.. وكان يصرخ وهو نائم.. (نعم.. نعم.. أريده.. أريده ..).. وذات صباح اعتقد الجميع أنه سيلحق بشقيقه من شدة تأثره بمرضه.. وأخذ كل سكان القرية يصلون من أجله حتى بُعث إلى الحياة من جديد.. وتعافى تماماً من مرضه بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الموت المحقق.. وعندما سُئل عما كان يردده أثناء مرضه أجاب بأن سيدة جميلة كانت ترتدي الأبيض والأزرق ظهرت له في الحلم وأمرته أن يشفى.. فكان يرد عليها بقوله: نعم أريد الشفاء.. وعند سؤال قس القرية عن هذا أجاب: لعلها تكون السيدة مريم العذراء.. عليها السلام.. فاعتقد أهل القرية البسطاء جميعهم أنها بالفعل كانت السيدة العذراء.. وبدأوا يتعاملون مع الصبي الصغير على أنه محاط برعاية إلهية خاصة.. وسيتكرر ذكر السيدة مريم العذراء في سيرته فيما بعد أكثر من مرة .

وبعد موت أخيه.. أصبح راسبوتين المعين الوحيد لأبيه في أعمال الفلاحة.. وهذا ما أثّر فيما بعد على شخصيته قاسية المظهر.. حيث كان كما أشرنا من قبل يحتفظ لمدّة طويلة بنفس الملابس البالية القذرة التي يرتديها دون تغيير.. ويستهتر بنظافة جسده وهيئته العامة .

طفل غريب الطباع :

عندما كان يُسأل أهل القرية عن هذا الصبي.. كانوا يقولون عنه إنه طفل غريب الطباع.. فالحادث الذي تعرض له مع شقيقه.. وكاد يرديه موتاً.. أثّر كثيراً فيما بعد على شخصيته.. وطباعه.. وعانى بسببه من حالات نفسية مثيرة للقلق والتساؤل وغرابة الطباع.. ولوحظ عليه بعد شفائه من تلك الواقعة امتلاكه لقدرات خاصة بدأت تتحول فيما بعد لسمات مميزة في شخصيته وظهرت عليه بعض مظاهر ما يعرف بالقوى الخفية وقدرات الشفاء الخارقة.. وتجلّت في تمكنّه من تحمّل الآلام الشديدة والسيطرة عليها بشكل غير مألوف.. وقدراته على شفاء الحيوانات من الأمراض، إذ كان باستطاعته مثلاً أن يبرئ حصاناً بمجرد لمسه.. وفي قرية مثل قريته تلك لاشك أن أهلها معظمهم من الفلاحين البسطاء وكان لديهم استعداد فطري لتصديق أي خرافة.. والإيمان بكل خارقة.. كان من الطبيعي أن يتحول "راسبوتين" لظاهرة .

حادث هام :

عاش "راسبوتين" سنواته الأولى في منزل أسرته الريفي البسيط والصغير المبني بالطوب اللبن وبشكل غير متناسق.. وبعد أن اشتد عوده تحول لشاب فتي قوي البنيان.. مفتول العضلات.. مما أهله للعمل في مجال صعب لا يقدر عليه إلا الرجال الشداد.. لكنه عمل به.. وبرع فيه.. وهو مجال ترويض الخيول الجامحة.. ثم انتقل إلى عمل آخر لايختلف كثيراً عن عمله الأول وأصبح سائساً لعربات الأثرياء.. وكان أهل القرية المؤمنون منذ طفولته بقدراته الخاصة يلجأون إليه عندما يُسرق من أحدهم شىء كفرسٍ أو حصان ليخمن لهم اسم اللص.. ودائماً ما تكون تخميناته صحيحة.. ومن الوقائع الغريبة التى كان أهل القرية يرونها عنه وهو طفل وهو طفل فى اثانية عشرة من عمره واقعة تتلعق بسرقة أحد الجياد من القرية واختفائه وبينما آمراً إياه أن يتقدم إليهم.. ولحظتها سلط عينيه فى عينى هذا الشخص..وسأله: ألا تعلم أن الحصان الذى سرقته فى الغابة.. فقال الرجل: نعم.. قال له راسبوتين: (إذن اذهب فأحضره

من حيث أخفيته..) فذهب الرجل ليغ فى الغابة برهةً من الزمن.. ثم يعود الحصان وأعلاه حنة الرجل الذى أطلق الرصاص على نفسه خجلاً من أهالى القرية.. حتي جاء الدور عليه واتهموه هو نفسه ذات مرة بسرقة أحد الجياد.. وكان حادث اتهامه ذاك هو نقطة تحول خطيرة في حياته.. حيث هرب "راسبوتين" من قريته ولاذ بأحد الأديرة ليتسربل برداء الرهبانية الذي لازمه بعد ذلك طيلة حياته.. وقيل أنه قبل هروبه سُجن لفترة في سجن قلعة توبوليسك عقاباً له علي هذه الجريمة.

الهروب الأول :

عندما قرر "راسبوتين" الهرب من قريته على أثر الاتهام الذي أشرنا إليه.. تذكر أنه ذات يوم.. بينما كان يعمل في الحقل.. تجلّت له عذراء مشعّة بالنور في نهاية خط المِحراث.. كانت أوصافها تشبه تلك الأوصاف التي قيل إنها ظهرت لآخرين منذ فترة قريبة في منطقة (كازان Kazan) باليونان القديمة والتى سمع بها "راسبوتين" مثله مثل غيره من أبناء القرية تتردد على ألسنة الرهبان الذين يخالطونهم .. ولا يعلم أحد حتي الآن هل كانت واقعة تجلى العذراء لراسبوتين في الحقل حقيقة.. أم من وحي خياله.. لكن علي كل الأحوال كان راسبوتين قد اتخذ قراره.. وحزم حقائبه قاصداً دير صغير يشبه الصومعة علي قمة أحد الجبال القريبة من سيبيريا حيث كان يقيم هناك بصفة مستمرة راهب ناسك يدعي (مكاري Makari) كان كثير من الناس يلجأون إليه لفهم خفايا الحياة والتبرك به.. ولم ينس "راسبوتين" وهو يقص على مكاري قصته كاملةً أن يحكي له عن السيدة العذراء التي أنقذت حياته ذات مرة وهو طفل راقد بين الحياة والموت.. ثم تجّلت له مرة أخري في الحقل.. وأغلب الظن أن الناسك توسم في ضيفه الشاب الصغير ملامح صورة تتكون لقديس منتظر.. فاستقطبه للحياة معه.. وقضي راسبوتين عدة شهور مصاحباً الناسك في صومعته الصغيرة.. يتعبد مثله.. ويتعلم منه.. وفي هذه الفترة تعلّم القراءة والكتابة حتي أتقنها تماماً.. وبعد حين نصحه مكاري بالترحال والطواف والاختلاء لفترة في جبل آتوس (Mont Athos) حيث يعيش الرهبان المتصوّفون في اليونان،

وكان هذا الجبل يبعد ٣٠٠٠ كيلو متر عن قريته الصغيرة.. وعمل "راسبوتين" بنصيحة الناسك.. وقرر راسبوتين الرحيل من أنحاء سيبريا بالكامل والالتحاق بهذا التجمّع الصوفي في اليونان.. وبرغم بُعد المكان وصعوبة السفر إليه.. مع ضيق ذات اليد لشاب فقير لايملك مالاً.. قرر راسبوتين السفر.. ونجح في الوصول إلي مبتغاه بعد عدة أسابيع.. كيف.. وهل ساعده الناسك مادياً.. لا أحد يعرف.. ولم يشر "راسبوتين" لذلك من قريب.. أو بعيد على الإطلاق في أحاديثه الشتي مع الآخرين حول هذه التجربة.. وانضم في رحلته تلك إلى رهبان الحركة الدينية المعروفة حينها باسم staretz.. والتي كانت معروفة جيداً آنذاك في بلاد اليونان .

وخلال تلك الرحلة.. وما تلاها من رحلات مشابهة.. قيل إنه لم يكن يغتسل أو يبدل ملابسه لفترات طويلة بلغت عدة أشهر.. وإنه كان يرتدي قيوداً حديدية زادت من معاناته وكأنه يحاول بالإكثار من معاناته الشخصية أن يكون مسيحاً آخر.

علاقات.. وعودة :

وساعدته رحلته إلى جبل آتوس باليونان على كسب وتكوين علاقات مع أشخاص ذوي نفوذ مثل "هيرموجن.. أسقف ساراتوى اليونانية" وغيره.. لكن كل هذه الرحلات كانت تنتهي به بالعودة مرةً ثانيةً إلى قريته الريفية.. حيث منزله الذي كان يعكس بسطوحه المتهالكة.. وأبوابه المهترئة حالة من الفقر الشديد كان يعيشها "راسبوتين" وعائلته.. وبعد عودته أصبح راسبوتين إنساناً آخر بعد أنّ تغيّر داخلياً.. وخارجياً بشكلٍ لافت للنظر والانتباه.. فلم يعد يشرب أو يسكر.. ولم يعد يعربد أو يهتم بالنساء.. وأصبح مظهره ولباسه يتسمان بالوقار والنظافة.. إضافة إلى سلوكه المتميّز الذي بدأ يعامل به الجميع.. لكن كان ذلك إلى حين.. ولم يستمر على هذا الحال طويلاً... فعندما بدأ أهالي القرية يتعاملون معه باعتباره راهباً.. ورجل دين.. بدأ يعود تدريجياً لسيرته القديمة.. فقد كان ضعيفاً للغاية أمام.. النساء.. والخمر.. ويسعى بكل جهده للهروب من شبح الفقر.. فكان من الطبيعي أن يستغل وضعه الجديد ليروي عطشه إلى كل ذلك.

كرامات راسبوتين في قريته :

وبدأ أهالي القرية.. وقرى سيبيريا المجاورة يحكون الأعاجيب عن كرامات "راسبوتين".. فحين ييأس الأطباء من القدرة على علاج مريض ما.. ويُشرف المريض على الهلاك يبعث أهله في طلب "راسبوتين" الذي يتدلل ويأبى حتى يقبض الثمن الباهظ سلفاً.. ويذهب إلى فراش المرأة .. أو الرجل.. أو الطفل المريض.. ويرفع يديه إلى السماء ويتصنع هبوط الوحي باسطاً كفيه بحركات تشنجية على جسد المريض ويأخذ في تلاوة أدعية خاصة.. بعدها تحدث المعجزة.. وينهض المريض من فراشه.. ويغدو وكأنه بُعِثَ من رقدة الموت .

زوجته وأولاده :

وفي التاسعة عشرة من عمره تزوج راسبوتين بفتاة ريفية فقيرة تدعى (فيدوروفنا دوبروفين).. بعد أن هام بها عشقاً بالرغم من أنها كانت تكبره بأربعة أعوام.. وكانت على قدر كبير من الجمال.. بيضاء.. فارعة القوام.. ذهبية الشعر.. سوداء العينين.. وبالرغم من تعداد حماقاته ومغامراته الجنسية هنا وهناك.. إلاّ أنّه بقي يحبها حباً صادقاً.. ويعود إليها مشتاقاً مهما طال غيابه .

مأساة طفله الأول :

رزق "راسبوتين" في أول زواجه من (فيدوروفنا دوبروفين) بطفل ترك فيما بعد أثراً كبيراً في حياته.. الطفل كان يدعى (ميخائيل Mikhail) توفي وهو طفل في شهره السادس.. وكان راسبوتين يحبه ومتعلقاً به بشكل غير عادي.. ولما تُوفِّي الطفل حزن عليه حزناً شديداً.. وكان ذلك بالنسبة له.. بمثابة صفعة قاسية من القدر.. أدّت به إلى انهيار عصبي حاد.. لدرجة أن بعض الكتابات ترجع انفلات "راسبوتين" الأخلاقي فيما بعد.. وانغماسه بهذا الشكل المرضي في العربدة وحياة الانحلال التي وصلت به لإدمان اغتصاب النساء بعد تنويمهن مغناطيسياً..

لصدمته المباغتة في وفاة طفله الأول... وحتى بعد أن حملت زوجته بطفلهما الثاني.. ثم الثالث.. والرابع.. لم يفلح أي منهم في أن ينسيه طفله الأول .. وكانت (فيدوروفنا دوبروفين) في الشهور الأولى لحملها الثاني عندما قرر "راسبوتين" أن يتركها ويرحل ثانيةً زاعماً معاودة بحثه عن الله وعن ذاته في خلوات ستمتدّ لأشهرٍ عديدة.. وستتكرر مرات.

الهروب من الحزن.. والعودة إلى مكاري :

ومرة ثانيةً عاد إلي مكاري فاستقبله الناسك في خلوته وواساه وخفّف من حزنه وألمه بنصائحه له في الاقتراب أكثر فأكثر من الله وطلب الرحمة والسلوان لديه.. وتواصل "راسبوتين" ثانيةً مع حياة الزهد.. والتنسك. . واستمرّت خلوته هذه المرة لمدّة ١٠ أشهر.. بعدها بدأ رحلة تجواله وترحاله الروحي الأولى التي استمرت قرابة عامين.. كان يتوقف خلالها في العديد من القرى والمدن التي يمر بها.. وتستضيفه معابدها كعابدٍ.. ناسك.. زاهد .. رحّال.. يبحث عن الله .. وخلال تلك الرحلة تعرّف عن قربٍ على شتّى الحركات الدينية والصوفيّة المنتشرة بشتي الأماكن في روسيا تلك الآونة.. ثم قررّ بعدها العودة إلى قريته بعد غياب طال ما يقارب السنتين حيث وجد زوجته قد انجبت له ولده الثاني (ديمتري Dimitri) الذي وُلد في عام ١٨٩٥.

عقيدة خاليستي (السوطيون) :

عندما حَزَمَ "جريجوري راسبوتين" أمتعته وترك قريته الجبلية للمرة الثالثة.. اعتكف في أحد الأديرة النائية.. لكن ملاذه الروحي ذاك لم يكن مجرد صومعة عادية.. بل مرتعاً لخلية تدين بعقيدة شاذة حاربتها الكنيسة الأرثوذكسية وناصبتها وقتها العداء.. وهى طائفة متطرفة غير شرعية تعرف باسم خاليستي أو (السوطيون) نسبة للسوط الذي اتخذوا منه شعارا خاصاً بهم.. وعرف هذا المذهب في القرن السابع عشر.. ومن خلال ما كتبه الباحث وليم سرجنت في كتابه (معارك داخل

العقل) نتعرف على طقوس هذه العقيدة الغريبة التي كان وقت العبادة فيها يبدأ مع هبوط الليل وفي الغابات حيث الهواء الطلق ونقاء الطبيعة.. فتضاء المشاعل.. وبينما التوهج يكشف مشهداً لمجموعة من الرجال والنساء يرتدون جلابيب بيضاء يرقصون ويغنون منفردين.. أو مع بعضهم البعض.. سرعان ما يتحول هذا الرقص وهذا الجو الرومانسي كما يبدو للوهلة الأولى إلى ساحة دامية وتعلو أصواتُهم بالصراخ بشكل هيستيري[1].. بزعم انتظار مقدم السيد المسيح ..وفي ذروة هذه الأحداث ومع نهاية رقصهم الإيقاعي تنهال السياط من أيديهم تلسع الأجساد بضراوة وهم يجلدون بَعَضهُم بعَضَاً .. وبين الأنين والآهات تتلامس الأجساد المُغَيَبَة.. وتنتهي الجلسة بممارسة الرذيلة بشكل جماعي.. وكان "راسبوتين" وحده دون الجميع متماسكاً كالجبل أمام قوة تلك الضربات.. وهو يكتم زفرات الألم.. وكان التعرض للضرب والجلد بهذا الشكل الدموي هو أحد أهم شروط الانضمام إلى تلك الجماعة.. لكن الفوز بعضوية السوطيين لا يقف عند هذه المرحلة.. فثمة اختبار آخر لا بد من المرور به وتحمله على نحو غير متوقع.. وهو امتحانٌ يُدبُّ الهلع في النفوس يحمل عنصر المفاجأة.. حيث يلقى زعيمهم بين الجموع أحد الأجولة به حفنة من الثعابين.. وأمام منظر الثعابين التي تتلوى ذات اليمين.. وذات اليسار.. ويحتم على هؤلاء المهوسين الإمساك بها وترويضها.. قبل اقتلاع أنيابها لتفريغ سمومها .. كانت قهقهات راسبوتين تتعالى من جُبنٌ من يولون الأدبار.. بينما هو لا يتزحزح من مكانه معتمداً علي قوته العضلية التي لم يكن يضاهيها سوى سطوته الروحية.. ونظراته الثاقبة المقتحمة للآخرين.. ويمد يده بكل جسارة ليمسك بما يتاح أمامه من تلك الحيات.. ليفرغ سمومها بيد لا ترتعش مثل الآخرين.. وهكذا.. ومن صومعة السوطيين درّب "راسبوتين" نفسه أكثر.. وأكثر.. على تذليل الصعاب التي من الممكن أن تقابله في حياته .

---

(١) تشبه طقوس هذا المذهب. خاصةً في هذه الجزئية. كثيراً من طقوس بعض الفرق الإسلامية المتشددة المغالين في عقيدتهم ..

لايمحو الخطيئة.. إلا الخطيئة :

وكان أصحاب هذه الطائفة كذلك يرون أن الخطيئة لا تهزم إلا عن طريق الخطيئة..أى أنهم يحاولون الارتقاء والسمو إلى الله عن طريق الانغماس في الخطيئة.. ولعل سمة الجمع بين الورع.. والخطيئة بهذا الشكل هى التي شَكَلّت القاعدة التي ارتكزت عليها ممارسات "راسبوتين" الدينية فيما بعد.. فلم تفارقه أبداً فكرة أن الفرد يمكن أن يصبح أكثر قرباً من الله إذا ارتكب الخطيئة عن عمد.. ثم تاب بعدها توبة نصوح. . وأصدرت الكنيسة الكاثوليكية وقتها منشوراً يلعن تلك الطائفة.. واعتبرتهم من الخارجين عن العقيدة المسيحية.. وبدأ البوليس يطاردهم في كل مكان ويهاجم أماكن تجمعهم التي يمارسون فيها طقوسهم.. لذا قرر راسبوتين إنهاء جولته تلك.. والعودة ثانيةً إلى قريته .

جلساته الماجنة :

وبعد عودته إلى القرية بفترة استأجر "راسبوتين" قبواً في المنزل المجاور لمنزله.. وخصصه ليعقد فيه جلساته الروحية الماجنة على طريقة السوطيين.. وكان أغلب المترددين عليه من النساء.. وباسم الأخوة في الدين.. وبينما هو يحدث مريديه عن الإنجيل والأحزان التى تمحوها الصلوات.. كان يأمر المترددين على وكره من الرجال والنساء بممارسة الفاحشة.. بزعم أنها تطهرهم من الخطيئة كما أوهمهم بذلك قديسهم الأكبر راسبوتين.. وكان يقول لأتباعه :

(وجود الشر ضروري لينتصر الخير.. وأن الرب لا يحب أحداً من عباده سوى الذين يتطهرون من الخطيئة بعد السقوط في المعصية.. والملذات الأرضية حبيبة إلى الله.. فهي أحب إليه من الفضيلة الجافة اليابسة.. فكيف ستأتي التوبة إذا لم يكن هناك سقوط ؟)..

كل مساء :

ولم يقف مجون وفسق "راسبوتين" في هذه المرحلة عند هذا الحد فحسب.. بل بلغ من بشاعة أفعاله أنه كان أحياناً يستضيف عشيقاته من النساء الساقطات ليبتن في بيته جنباً إلى جنب بجوار زوجته وأولاده.. بينما وضع على أحد جدران منزله صورة كبيرة للسيدة مريم العذراء تحيط برأسها هالة كبيرة من النور وهى تحتضن وليدها الطفل عيسى عليه السلام.. وتحتها مباشرةً تَعَوَد كل مساء الجلوس ليحتسي "الفودكا".. قبل ذهابه إلى القبو لممارسة طقوسه السوطية.. وعندما انتشرت أنباء ندماء.. وجلساء "راسبوتين" في المدينة.. اتهم راسبوتين بانتمائه إلى ذلك المذهب فبدأ يفكر في الهروب مرةً ثانيةً خارج قريته .

بداية الرحلة..
وسطوع الأسطورة!!

الفصل الثانى



بداية الرحلة..

وسطوع الأسطورة!!

ذات صباح.. بينما كان راسبويتن يقف أمام منزله مرّ عليه صديق قديم له يدعى "برنابا " كان قد غاب عن القرية منذ فترة.. وكان هذا الرجل يعمل فيما مضى بستانياً.. واتهم مثل صاحبه بسرقة أحد الجياد.. وهرب هو الآخر من القرية قبل أن يقُبض عليه.. وفي غربته تلك لعب دور المجذوب المتسول.. وبرع فيه.. وبعد جلسة قصيرة بينه.. وبين "راسبوتين" نصحه هذا الرجل باستثمار مواهبه الطبيعية والانضمام إلى طائفة الرهبان الجوالين ليصبح واحداً منهم.. فهو الحل السحري الذي يمكنه من أن يشبع رغباته وشهواته الماجنة كيفما شاء دون أن يضايقه أحد.. كما أن هذا هو الطريق الأمثل الذي يؤهله أيضا للارتقاء في المناصب العليا.. ولعل ما سوف يجمعه من أموال في جولاته يساعده في تحقيق حلمه الكبير بإنشاء دير خاص به في القرية.. وأعجبت الفكرة راسبوتين.. ووافقت له تماماً.. وفي صباح اليوم التالي هجر "راسبوتين" الذي كان في هذا التوقيت على مشارف عامه الثلاثين عائلته.. وبصحبته صديقه برنابا.. ولم تحول توسلات زوجته.. وأبنائه الثلاثة ديمتري والفتاتين الأخريين اللتين قد رزق بهما قبل ذلك (ماريا Maria) في عام ١٨٩٨.. و (فاريا Varya) في عام ١٩٠٠.. وكانوا جميعهم وقتئذٍ مازالوا أطفالاً.. عن المضى قدماً إلى ما عزم عليه..

بداية المشوار :

قبل أن يغادر راسبوتين القرية بصحبة صديقه القديم.. عرج أولاً على كنيسة القرية.. ودخل على القسيس واستغل قوته النفسية واحتال عليه.. واستطاع إقناعه بأن يعطيه ثيابه الكهنوتية القديمة ويُوقع له شهادة مزورة تثبت أنه راهب "لمام"[1] في الكنيسة.. وبدأ "راسبوتين" هو وصاحبه جولةً طويلة.. ستكون نتيجتها علامة فارقة في مسيرة حياته .

لعبة القدر :

وعند أول قرية دخلاها كان القدر في انتظارهما.. حيث وجدا هناك بالصدفة قسيس كنيسة القرية مريضاً.. وتراءى للجميع أنه على مشارف الموت.. وعندما دخل "راسبوتين" مقر الكنيسة اعتقد العاملون بها أن الراهب الغريب القادم إليهم هو وصاحبه غريب الأطوار جاءا خصيصاً ليتلوا على القس المريض طقوس الصلاة الأخيرة.. لكن المفاجأة أن القس شفى تماماً من مرضه بمجرد أن اقترب منه راسبوتين ووضع يده على رأسه.. وبدأ يتلو صلواته الخاصة.

راسبوتين.. والمجذوب :

بعدها طاف "راسبوتين" بقرى "سيبيريا" ومعه صديقه ووزير إعلامه المجذوب الذي كان بأسلوبه وحركاته التمثيلية كتابع للرجل المبارك يجذب الناس في كل القرى التي كانا يهبطان على أهلها.. ويتولى تعريفهم بصاحبه القديس المبارك القادر والمكلف من السماء بشفاء المرضى.. وفعل أشياء عظيمة بقدراته الخارقة.. وأصبح واقعه الجديد هو التجوال في القرى.. لمعاينة المرضى وشفائهم روحياً بعيداً عن مرارة مايتناولونه من أدوية.. وما يعانونه من آلام إجراء الجراحات المختلفة.. ومع

---

(١) تعنـي تلك التسمية في الكنيسة الأوربية آنـذاك منح حاملها رخصة معتمدة من قبل الكنيسة تجيز لمن يحملها جمع التبرعات لصالح الكنيسة ..

الأجسام المسجاة على فراش الألم.. كان ليديه لمسات حملت بوادر الشفاء.. ولعينيه بريق خاص يبعث الهدوء.. والسكينة .

وشرع الصديقان يضربان في الطرق الزراعية.. كلما بدت لهما قرية يمما شطرها.. و قام "راسبوتين" بفعل ما تيسر له من معجزات وصلوات تنتهي عادةً بأن يُترجم كل هذا إلى مزيد من الروبيات تدخل جيب الراهب الزنديق.. والفتات منها إلى جيب صاحبه .. وازدادت مهارة "راسبوتين" و حيله للإيقاع بفلاحات القرى الروسية.. وصار يستدرجهن فإذا سلبهن إرادتهن قام بفعل الفحشاء معهن.. وزاد فجوراً ونفاقاً.. فصار يختم تلك الآثام بتصنع التوبة.. فيغسل ضحيته بدموع الندم وهو يتلو هذه العبارة:

(إن الفرح في ملكوت السموات بتوبة خاطئ ضال.. أشد مائة ضعف من الفرح بمائة بارٍ لم يخطئ)

الخطيئة.. حتي في الدير :

وفي إحدى رحلات راسبوتين تلك بلغ ديراً للراهبات مقاماً فوق ربوة عالية.. تطل على شاطىء نهر الفولجا.. فدخل هو وصديقه الدير.. واستقبلته رئيسة الدير احسن استقبال ولم ير فيها "راسبوتين" أكثر من امرأة عجوز دميمة الوجه.. ورمى ببصره تجاه راهبة شابة .. فسيطرعليها بنظراته المغناطيسية.. واستطاع أن يستدرجها ليلاً لغرفته التي استضافوه بها داخل الدير ثم مارس معها الفحشاء.. لكن رئيسة الدير كشفت أمره وضبطته في حالة تلبس مع الراهبة فقامت بحبس الراهبة.. وطرده من الدير.. بعد أن أمرت العاملين بالدير بتلقينه علقةً ساخنة كان من شدتها أن أُغمِيَ عليه وفقد الوعي.. ولما أفاق وجد نفسه ملقى على قارعة الطريق في حفرة قذرة خارج أبواب الدير.. ومعه صديقه "برنابا" .

لكن هذه الواقعة لم تمنعه من استمرار رحلته.. أو تؤثر على شهرته التي عمّت كل قرى "سيبيريا " التي عرفته كرجلٍ مبارك.. يشفي المرضى الذين عجز عن شفائهم

الأطباء ..ووصلت سيرته إلى أرجاء مدينتي (كييف Kiev وكازان Kazan).. حيث نفوذ وسيطرة رجال الكنيسة الأرثوذكسية.. ورغم غيرتهم منه وحسدهم ممّا بدأ يترامى إلى أسماعهم من قدرته على تحقيق المعجزات في علاجه للمرضى.. ونبوءاته.. لم يستطيعوا تشويه سمعته وإبعاد الناس عنه.. لدرجة أنّ الأب الراهب الأكثر هيبة واحتراماً في روسيا في هذه الفترة (إيفان كورنز Ivan de Cronstadt..) قال عن راسبوتين: " إن هذا الرجل لا شكّ في داخله روحٌ إلهية عظيمة".

موسكو.. وبداية اختلاطه بالطبقات الراقية :

ولما رأى الصديقان أن شهرتهما قد سبقتهما إلى قرى روسيا الأوربية كلها.. استقل الصديقان هذه المرة قطار السكك الحديدية الذي يعبر "سيبيريا" ويخترق جبال الأورال إلى هناك.. حيث موسكو التي دخلاها عام ١٩٠٢.. واختلط "راسبوتين" هناك بالطبقة الراقية والارستقراطية من الإنجليز والأمراء الروس وجنسيات أوربية متعددة .. التي كان أبناؤها في هذا التوقيت بالذات مولعين بمسائل السحر والتنجيم وعمليات تحضير الأرواح.. وبدأ "راسبوتين" سريعاً في تكوين أكبر مجموعة من الحواريين والمعارف على مستوى الطبقات العليا.. ساعده في ذلك عيناه المغناطيسيتان .. وقوة تأثيره في الآخرين.. وتعامل معه المجتمع الروسي ككل في موسكو باعتباره مرشداً روحياً.. ورجلاً مقدساً.. ومن فرط إعجابهم به.. وشدة تأثيره عليهم تكفل الأمراء الروس بكل نفقات إقامته هو وصاحبه.. لكن وبالرغم من ذلك لم تسغ له الحياة هناك.. خاصةً في أسابيعها الأولى .. فقد اكتشف أن تلك المدينة رغم احتفاظها بالطابع الشرقي.. إلا أن الحضارة الغربية هى المسيطرة على عقول وتصرفات أهلها.. مما جعل مهمته في البداية صعبةً إلى حد ما.. واقتصر نجاحه على نساء العامة ذوات الاستعداد الهستيري الديني.. ولم يستطع استغلال شهرته بين سيدات الطبقة الراقية.. اللائي بالرغم من سعيهن وراءه.. إلا أنه كان يخاف من البوليس السري "الأوكرانا " الذي بدأ يرصد ويتابع اختلاطه بالطبقة الراقية.. فلم يجسر أن يقترب من نساء تلك الطبقة.. وغلبه خوفه من افتضاح أمره

فآثر الرحيل.. ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لاتخاذه قرار السفر إلى بطرسبرج العاصمة الجديدة آنذاك للدولة الروسية.. فقد كان هناك سبب أقوى.. الدافع إليه اشتعال نيران الغيرة في قلب كبير أساقفة الكنيسة في موسكو ناحيته بعد أن رفعه البسطاء والنبلاء منهم على حد السواء إلى مقام القديسين.. وأخذ يرميه بالشعوذة.. فاضطر "راسبوتين" إلى مبارحة موسكو هروباً من خطر تلك الشائعات واستثماراً لشهرته العريضة التي أصبحت حديث الناس في العاصمة نفسها.. وتيقن "راسبوتين" أن مكانه الوحيد يجب أن يكون هناك.. وسط أهلها ممن يستطيع خداعهم والسيطرة عليهم والعيش من خيراتهم.. وعطاياهم التي كانت بلا حدود.. وترك وراءه هذه المرة صديقه " برنابا" فلم يرغب أن يشاركه تلك الرحلة التي استشعر أنها ستكون الأهم في حياته كلها .

إلى بطرسبرج :

وعند وصوله إلى سان بطرسبرج بحلول عام ١٩٠٣ كان الجميع هناك ينتظرون مَقدم الرجل المبارك الذي سمعوا مراراً.. وتكراراً عما يقوم به من معجزات.. الرجل الذي سبق وتنبأ لهم ببشرى ميلاد ولي العرش.. حيث يحكى، أنه توقف في مدينة (ساروف Sarov..) وكان أهلها يحتفلون في نفس اليوم بإعلان قداسة الراهب (سارافيم Séraphim)... وأمام الحشد المتجمّع للاحتفال بهذه المناسبة الاستثنائية.. دخل "راسبوتين" في حالة تواصل روحية.. وتنبأ بولادة وليّ العرش الذى طال انتظار مقدمه في العائلة الامبراطورية الروسية.. وحدث ذلك قبل ولادته بفترة وجيزة.

لهذا طال اشتياق الجميع في العاصمة لمقدمه عليهم.. وكأنه مبعوث السماء الذي يمتلك قوى روحية خاصة.. وخارقة.. وكان كل ذلك هو جواز مروره إلى أكثر فصول حياته.. إثارة.. ودراماتيكية .



راسبوتين يقتحم البلاط القيصري!!

الفصل الثالث

راسبوتين يقتحم البلاط القيصري ..!!

(آل روما نوف)

القيصر نيقولا الثاني :

تولى نيقولا الثاني (NICHOLAS II) مقاليد الحكم في روسيا القيصرية في أكتوبر ١٨٩٤ بعد اغتيال والده القيصر ألكسندر الثالث(ALEXANDER III).. الذي كانت له رؤية خاصة في ابنه وولي عهده.. حيث كان لا يثق فيه إطلاقاً وينعته دائماً بأنه لن يصبح رجلاً في يوم من الأيام.. وكان يخشى عليه وعلى البلاد من بعده إن حكمها ابنه المستهتر.. وكان القيصر الجديد وقتها شاباً في السادسة والعشرين من عمره.. يناديه الجميع بـ " نيكي " كإسم تدليل له.. واختلطت مشاعر الجميع في البلاط القيصري عند توليه الحكم مابين الأسى للوفاة المباغتة للقيصر الأب.. والفرح بتنصيب هذا القيصر الشاب حاكماً جديداً للبلاد.. الذي كان وبرغم رأي والده فيه محبوباً من الجميع.. ممن توسموا فيه أنه ربما يكون المنقذ لهم من سياسة والده الاستبدادية.. بينما كان نيقولا في قرارة نفسه لايشعر بأية سعادة لذلك.. وعلى حسب تعبيره في مذكراته التي نشرت بعد إعدامه (لم أكن مستعداً لهذه المهمة.. ولا أعرف كيف أتحدث إلى الشعب.. أو وزراء البلاط .. لأني لم أدرس شيئاً عن الحكم أوالسياسة.. وتم إعدادي إعداداً عسكرياً فقط لأكون جندياً.. وليس قيصراً.. إنها غلطة أبي).

وكان لرأي والده ما يبرره.. فقد اشتهر نيقولا منذ شبابه وحتى آواخر حكمه بشيئين :

الأول : إدمانه الخمر وكثرة شرابه حتى كان ليقع على الأرض من فرط ثمالته.. ويحمله حراسه ومرافقوه حملاً إلى سريره أوعربته .

والثاني: كثرة عشيقاته.. وبذخه الشديد عليهن.

ونتوقف هنا لنعقد مقارنة حتمية بين القيصر الشاب .. وبين راسبوتين الذي كان يشاركه تماماً في هذين الخصلتين.. فعلى الأرجح أن تشابه طباعهما على هذا النحو هو الذي ساعد كثيراً فيما بعد على التقارب الشديد بينهما.

وشكل العلاقة فيما بعد بين راسبوتين والقيصر.. وتحديداً فى هذه الجزئية لم تتعرض لها أية كتابات على الإطلاق.. سواء تلك التى اختصت بالترجمة لحياة نيقولا الثانى... أم راسبوتين لكن لا يمكننا على الإطلاق ونحن نرصد طبيعة العلاقة بين كل منهما أن نتجاهل أبرز السمات المشتركة بينهما التى كانت بلا شك هى أبرز محاور تلك العلاقة ..

أحلام القيصر الشاب :

وعندما استتب الأمر لنيقولا.. بدأ يفكر كقيصر يبحث لنفسه عن مجد شخصي.. ولذلك كان كثيراً ما تتلاعب به أحلامه.. وأوهامه.. فيفكر في غزو واحتلال الدول المجاورة.. مثل منشوريا التي نجح بالفعل في ضمها إلى مملكته عام ١٩٠٠ عقب ثورة البوكسر بها.. وكذلك كل من والتبت.. وكوريا.. ثم يذهب بأحلامه بعيداً ليمد حدود إمبراطوريته إلى إيران.. والبسفور.. والدردنيل.. ثم البلقان.. باعتبار أنه كان يرى نفسه حامياً لشعوب تلك البلدان السلافية.. وعندما أعلنت عصبة البلقان الحرب على تركيا.. قرر نيقولا دخول الحرب معها.. لكن "راسبوتين" استطاع إقناعه بالعدول عن ذلك وقال له: (ابتعد عن الحرب.. فسوف تكون نهايتك.. ونهاية روسيا).. إلا أن" راسبوتين فيما بعد.. وعندما توطدت علاقتهما" لم يستطع إقناعه فيما بعد بعدم خوض الحرب ضد اليابان .. وتسبب نيقولا بأحلامه تلك في اندلاع الحرب (الروسية.. اليابانية) عام ١٩٠٣ عندما أراد ضم كوريا مما أغضب اليابانيين الذين

كانوا يعتبرون كوريا جزءاً من أراضيهم.. ونتج عن هذه الحرب خسائر فادحة للروس خاصةً بعد أن تمكن اليابانيون من تدمير أسطول البلطيق الروسي تماماً عام ١٩٠٥.

القيصرة الأم :

والدته هى الأميرة الدانماركية (ماريا فيودروف) التي عرفت فيما بعد بالقيصرة الأم.. قبل أن تغير اسمها طبقاً للعادات والتقاليد الروسية وتشتهر باسم (داجمار) بعد زواجها من قيصر روسيا ألكسندر الثالث.. وأنجبت ماريا ستة أبناء.. كان من بينهم نيقولا الثاني.. وحظت ماريا كامبراطورة بمحبة الشعب الروسي.. وقيل عنها إنها كانت واحدة من أفضل الأميرات اللائي حكمن روسيا.. وعرف عنها عدم تدخلها في السياسة أثناء حياة زوجها.. بينما كان العكس صحيحاً في حياة ولدها الذي كانت .وعلى العكس من والده تماماً .تحبه حباً يصل لدرجة العبادة.. تسعى دائماً لإرضائه بأي شكل.. برغم أنها كانت قوية الشخصية ويهابُها الجميع بشكل واضح.. وكان من الطبيعي أن يكون ميل نيقولا لوالدته أكبر بكثير من ميله ناحية والده.. فكان مطيعاً لها.. يتجنب مخالفتها.. أو إغضابها.. قبل أن يعرض عنها تماماً ويلقي نفسه في أحضان زوجته القيصرة الشابة التي أحبها بعد الزواج بجنون.

القيصرة :

وكان نيقولا عند وفاة والده خاطباً للأميرة الألمانية (ألكساندرا أوف هيسيه.. ALIX OF HESSE) وكانت تلك الأميرة التي أصبحت فيما بعد آخر قيصرات الأسرة الحاكمة في روسيا هى إحدى الحفيدات المفضلات للملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى.. وفي نفس الوقت ابنة عم زوجها القيصر نيقولا الثاني.. وكانت بلغتها الألمانية.. وثقافتها.. وتقاليدها.. وطبيعتها المختلفة غريبة عن روسيا .. وعن أهلها.. وعرف عنها أنها كانت امرأة عنيدة.. مستبدة برأيها.. قوية الشخصية.. بالرغم مما عرف عنها من خجلها الشديد.. وأطلق الشعب الروسي لقب (عروس الجنازة) على القيصرة الجديدة لأنه.. وبعد عشرة أيام فقط من إعلان روسيا

الحداد على القيصر الأب.. أُوقفت مراسم الحداد.. لتعلو الزينة كل مكانٍ في روسيا.. وعلى طريقة مات الملك.. يحيا الملك.. سارت الأمور.. لكن بإضافة صغيرة.. تمثلت في أنه يحيا الملك.. ويتزوج أيضاً.. وسكن العروسان قصر أنشيكوف الذي كانت تقيم فيه الأسرة المالكة.. بل ودخل القيصر بعروسه في نفس حجرته التي كان يشغلها بالقصر وهو أمير شاب.

تشاؤم منطقي :

لكن بقى الشعب الروسي يشعر بجفاء شديد ناحية تلك القيصرة.. ويبدو أنهم تشاءموا بمقدمها.. خاصةً أنهم بعد أن أطلقوا عليها (عروس الجنازة) وقع حادث مأسوي كبير راح ضحيته آلاف من أبناء الشعب الروسي.. حيث كان من عادة كل قيصر جديد يتولى الحكم في روسيا أن يقوم بعمل احتفال شعبي كبير يقدم فيه الهدايا للفقراء من أبناء شعبه.. وأقيم الاحتفال الخاص بالقيصر الجديد نيقولا الثاني بعد فترة بسيطة من زواجه بالأميرة الألمانية في حقل عسكري يسمى (خودينكا) يقع خارج موسكو.. لكن المشرفين على الحفل لم يحتاطوا كما يجب لإشتراك أعداد كبيرة من أبناء الشعب الفقراء في هذا الحفل بزيادة عدد الهدايا.. وتوفير الحراسة الكافية.. وبالرغم من أن الموعد الذي أُعلن عنه لبداية الحفل كان بعد ظهيرة اليوم.. إلا أن الفقراء بدأوا يتوافدون علي المكان منذ الصباح الباكر.. ثم سرت إشاعة بين جموع الحاضرين أن الطعام والشراب.. والهدايا قليلة ولن تكفي الحضور.. فتدافعوا جميعاً نحو المكان المخصص لحفظ الهدايا والطعام وتقاتلوا فيما بينهم في تخاطفها.. ولم تفلح الأعداد القليلة من الحراس في السيطرة على تدافع نحو نصف مليون شخص بهذا الشكل العشوائي.. وتركوهم يفعلون ما يريدون.. وكانت النتيجة عندما حضر القيصر.. وزوجته لبدء الإحتفال هى وجود أربعة آلاف جثة من فقراء الشعب متراصة فوق بعضها البعض خلف المُدرج الذي جلسوا عليه للاحتفال مع من تبقى من جموع الحاضرين.. دون أن يدروا عن الكارثة التي حدثت شيئاً.. وجري الاحتفال فوق جثث القتلى وكأنه لم يحدث شيء.. وفي

مساء نفس اليوم ذهب العروسان إلي احتفال خاص أقامته لهما السفارة الفرنسية.. بالرغم من علمهما بعد انتهاء الحفل بما حدث.. دون مراعاة لمشاعر الجماهير الذين ذهبوا لتحيتهما فلقوا مصرعهم.. ومن هذه الواقعة تحديداً بدأ الشعب الروسي يتعامل مع قيصرته الجديدة من منظور الكراهية والتشاؤم.. مما ساعد فيما بعد على أن تبتعد القيصرة بكامل رغبتها تماماً عن الشعب الذي تُشارك في حكمه.. وبدلاً من أن تحاول إذابة تلال الجليد التي علقت بثوب علاقتها بشعب كانت هى سيدته الأولى.. تجاهلته تماماً.

القيصر.. بين نارين :

وفيما بعد حكت القيصرة الشابة للآخرين عن تذمرها فى البداية من اقتناص حماتها القيصرة الأم للسلطات الفعلية لابنها القيصر.. الذي كان بحسب تعبيرها لا يسأله أحد في شيء.. وإنما يُرجعون لوالدته.. ويقررون له ما يفعله.. لكنها استطاعت بدهائها أن تعالج ذلك فيما بعد.. وتسحب بساط الهيمنة من تحت أقدام حماتها.. وتنفخ في زوجها شيئاً.. فشيئاً روح الاستقلالية عن والدته.. لتُسيطر هى عليه تماماً.. وكذلك استطاعت القيصرة الشابة أن تفرض وجودها.. وشخصيتها.. وتُجبر الجميع أن يتعاملوا معها باعتبارها سيدة القصر الأولى.. وقيصرة روسيا الحاكمة..

وما بين قوة شخصيتي الأم.. والزوجة.. ضاعت تماماً شخصية القيصر الشاب.. حتى جاء "راسبوتين" ليمحو بترانيمه الكهنوتية.. ونظراته المغناطيسية.. شخصيات الثلاثة معاً.. ويحولهم جميعاً إلى دُمى يحركها كيفما شاء.. لكن كيف وصل راسبوتين إلى قصر الحكم.. وبدأ ينسج خيوط أسطورته؟.. تعددت الروايات للإجابة عن هذا السؤال.

(روايات عديدة ..)

ظهور العذراء:

الرواية الأولى تضيف أسطورة جديدة لأساطير حياة راسبوتين .. وتدور حول السيدة مريم العذراء التي ذكر اسمها كثيراً بين ثنايا الكتب التي تحدثت عنه وعن مسيرة حياته بشكل غير مباشر.. والمؤكد أن راسبوتين نفسه كان وراء كل ما يتردد بشأنها من حكاوي وأقاويل.. حتى يضفي على شخصه قدراً أكبر من القداسة..

وتحكي الأسطورة.. أنه بعد أن ذاع صيت "راسبوتين" خلال جولاته التي استقطب فيها إعجاب الأرستقراطيين ورجال الدين.. ازدادت أيضاً قوة بصيرته وإدراكه لما وراء الحُجب.. وعلمه بالغيب.. وفي إحدى المناسبات.. ظهرت له العذراء وحثته على الذهاب إلى سان بطرسبرج لمساعدة العائلة المالكية.. فاستجاب على الفور.. وحزم حقائبه ورحل إلى العاصمة بطرسبرج ..

دعوة قيصرية :

وهناك أيضاً قصة تحكي أن دخول "راسبوتين" البلاط الملكي.. يرجع الفضل فيه إلي لقاءٍ تمّ بينه وبين القيصرة الأم داجمار في مدينة كييف.. و ذلك أثناء زيارتها للمدينةً.. وتواجده هو بها في رحلته المشار إليها سابقاً.. حيث قامت القيصرة بدعوته إلى قصرها في العاصمة الروسية.. ولبي "راسبوتين" الدعوة الملكية التي لم تكن بالأمر الهين حتي يرفضها هو أو غيره.. وبواسطة القيصرة الأم تمّ استقبال راسبوتين في العائلة الحاكمة كراهبٍ ذو سمعة تجاوزت حدود روسيا نتيجة لقدراته على الشفاء من الأمراض.. وطاقته الروحية العالية في التنبؤات التي أثبتت قيمتها وصحتها مرات عديدة بحكم تنبؤه السابق بولادة ولي العهد.. وكان للأسرة المالكة في روسيا في هذا الزمن.. وما قبله تقليد خاص يدعم الاهتمام بمثل هؤلاء الرجال

المقدسين.. ممن نستطيع أن نطلق عليهم تسمية الدجالين.. والمشعوذين.. بينما شاع تسميتهم في ذلك العصر بالقديسين الروحانيين.. أو الصوفيين.. ويجري استقبالهم من آنٍ لآخر من أجل مباركتهم للأسرة الحاكمة.. والاستعانة بهم في اتخاذ القرارات بزعم أنهم مباركون.. ويعلمون الغيب.. وتولت القيصرة الأم بنفسها تقديمه للعائلة الإمبراطورية في نوفمبر من عام ١٩٠٥ .

لقاء الصدفة :

القصة الثانية قد تكون هى الأصدق خاصةً أنها هى الأكثر تداولاً في الكتب التي تعرضت لسيرة "راسبوتين".. وتتحدث عن لقائه عام ١٩٠٥ بعالم لاهوت كان يعمل رئيساً لأكاديمية دينية وكاهن اعتراف للامبراطورة "إلكسندرا فيودوروفونا" وتولي هذا العالم تقديمه للبلاط من خلال تزكية مسؤولي الكنيسة العليا.. بمساعدة راهبتين كانتا تعرفان باسم "الغرابان" وتتوليان إمداد البلاط القيصري بالرجال على شاكلة راسبوتين..

وزير الحربية :

وقيل أيضاً ضمن ما قيل أن وزير الحربية في بلاط نيقولا هو الذي تولى تقديمه لوصيفة القيصرة وتدعى (آنا فيروبوفا) وهى التي تولت تقديمه فيما بعد للقيصرة (ألكسندرا) .

مرض وراثي غامض:

كانت القيصرة (ألكسندرا) كما قلنا من قبل واحدة من عدة أحفاد وحفيدات للملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا.. جمع بين البعض منهم صفة وراثية مشتركة.. حيث انتهت حياتهم جميعاً بمرض سرطان أو سيلان الدم الذي كان من السمات الوراثية للعائلة المالكة في بريطانيا.. ومات به من قبل أخ القيصرة.. واثنان من أبناء الأخوة.. وخالها ليوبولد الثاني.. وتبدأ أعراض المرض بنزيف تحت الجلد..

ثم يظهر النزيف كورم متصلب.. يتبعه شلل مصحوب بآلام شديدة.. واختلف بعض المؤرخين في توصيف المرض فقيل أيضا إنه كان مرضاً وراثياً نادراً جدا يطلق عليه اسم (المزاج النزفي Hemophilia) وهو مرض قاتل.. إذ يكفي أي جرح صغير يصاب به المريض ليظل ينزف حتى الموت .

ولي العهد :

وورث ولى العهد الروسي الأمير (أليكس) الذي ولد في الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٠٤.. هذا المرض عن والدته.. وكان الجميع يتعاملون معه بحرص شديد كي لا يصاب بأية جروح.. وفي عام ١٩٠٧[(١)] أصيب اليكس ببعض الكدمات والجروح الصغيرة إثر سقوطه بالحمام فأصبح ينزف باستمرار.. بالإضافة إلى ما أدّت إليه الرضة من تورم كبير في عظام إحدى ساقيه نتج عنه أيضاً نزيف داخلي شديد.. واستقدمت الأسرة الحاكمة لعلاج الصغير أعظم الأطباء في أوربا قاطبة.. لكنهم أعلنوا وبكل صراحة عن عجزهم التام لعمل أي شيء لإنقاذ ولي العهد الذي ساءت حالته كثيراً.. حتي قيل إن الأسرة المالكة أعدت بياناً رسمياً تعلن فيه للملأ عن وفاة الأمير الصغير وكانت تستعد لإذاعته على الملأ فى أية لحظة.. وكانت القيصرة الكسندرا قد أصيبت من فرط حزنها على وحيدها.. وعجزها عن عمل أي شيء أمام آلامه.. وما يعانيه من مرض بحالة هيستيرية تنتابها من آنٍ لآخر.. تأتيها أحياناً في صورة دُوار شديد.. ولغط في القلب.. ولما كانت قد سمعت بالطبع عن هذا الرجل المبارك القادم من ريف سيبيريا ويملك معجزات الشفاء من الأمراض حتي المستعصية منها.. كان من الطبيعي أن تستدعيه إلي القصر لعلاج وحيدها.

---

(١) نلاحظ هنا أن التاريخ ١٩٠٧ يبتعد عامين كاملين عن تاريخ أصدق روايات دخول راسبوتين القصر الملكى ١٩٠٥ لعلاج ولى العهد.. والتعارض بين التاريخيين يعكس كثرة تضارب الروايات فى هذا الصدد.. ونستنتج منها أن القصر الملكى ربما يكون قد عرف راسبوتين على أكثر من مرحلة ..

البحث عن القديس الثمل :

وأرسلت الجنود للبحث عنه في كل مكانٍ بالعاصمة.. وبعد بحث مضني وجدوه في إحدى الحانات مشبعاً بالخمر حتى الثمالة.. فأخذوه معهم إلى القصر.. وأخذوا يسكبون الماء البارد علي رأسه وجسده حتي أفاق من ثمالته.. وبعد أن تمت إفاقته.. اقترب من الطفل.. ثم وضع يده على رأس الصغير وبدأ يصلي بجانبه صلاةً عميقة خاشعة لمدة ١٠ دقائق.. وفي نهاية صلاته.. بدأ الطفل الغائب عن الوعي يتحرك.. وخاطبه "راسبوتين" قائلاً : "افتح عينيك يا ولدي" وعلت الدهشة وجوه الجميع عندما استجاب الطفل وفتح عينيه والراحة تعلو ملامحه الصغيرة.. وهو يخص "راسبوتين" بنظرةٍ بريئةٍ مبتسمة وكأنه يعرفه منذ زمنٍ.. وأخذت حالة الطفل في التحسّن مباشرة حتى توقف النزيف وتلاشى الألم .

ورواية أخري :

ورويت نفس الواقعة بصورةٍ أخري.. حيث قيل إن القيصرة بعثت إليلا "راسبوتين" الذي كان في قريته في هذا التوقيت ببرقية تطلب منه النجدة لإنقاذ الصبي.. فرد عليها ببرقية يقول فيها : " لا تحزني الصغير لن يموت" وبعد ساعات قليلة حضر "راسبوتين".. وبوصوله إلى العاصمة بطر سبورج أقلته عربة المراسم الخاصة إلى قصر الكرملين.. وخروجاً عن تقاليد البروتوكول.. وبحضور القيصرة الكسندرا نفسها خرج القيصر لاستقباله علي باب القصر.. كانت آلام الحزن علي ما أصاب ولدهما الطفل الوحيد.. قد أنستهما كونهما قيصرين للامبراطورية.. فلم يتذكرا إلا كونهما مجرد أم.. وأب فقط.. يحترقان انتظاراً لرؤية راهب عقدت عليه الآمال.

المعجزة :

ودخل "راسبوتين" الى القصر لرؤية الأمير الصغير في مخدعه.. وقرب سريره ركع على ركبتيه وأنامله تتحسس جسد الطفل الذي كان وقتها في الثالثة من عمره فقط[1] .. وبصلاة مكتومة.. بدأ علاجه.. ونظراته تتركز على الجرح الغائر.. بينما أخذ يلوح بيديه حول الأمير الصغير.. وهو يتحدث إليه مداعباً.. وبالفعل استطاع بقوة ايحائه.. والاستعانة ببعض الطقوس الغامضة أن يخفف الألم عن ولي العهد الذي استسلم لغفوة هادئة مضى عليه وقت طويل لم ينعم بمثلها.. وبكل بساطه التفت "راسبوتين" للقيصر وزوجته وقال لهما: ("أن ابنهما سوف يتحسن وهذا ماحدث بالفعل.. وبدأ الصبي بالتحسن بعد فترة قصيرة حتى توقف النزيف تماماً لينجو الأمير الصغير من الموت وسط ذهول الجميع.. ليصبح وجود "راسبوتين" في ردهات القصر واقعاً لا مفر منه.. بعد أن شعر كل من حضر هذا المشهد من الأسرة الحاكمة بسعادة غامرة لشفاء ولي العهد.. وأيقنوا جميعاً أن هذا الكاهن يملك أسراراً لايعرفها الناس.. خاصةً بعد أن تكرر هذا الموقف أمام عيون الجميع أكثر من مرة .

كلاكيت.. مرات عديدة :

وبعدها بعدة أسابيع سقط الطفل وهو يلعب ونزف.. فهرع إليه "راسبوتين" الذي كان متواجداً وقتها بالقصر الملكي.. ولمس جرحه بيده فتوقف الدم.. ومرة أخرى سقط الطفل وهو يلعب.. وسالت دماؤه.. وكان راسبوتين وقتها بعيداً عن العاصمة.. فأرسلت الامبراطورة ببرقية تستعجل عودته.. ورد عليها ببرقية مماثلة في الحال يقول فيها (الأمر ليس خطيراً هذه المرة.. ضعي هذه البرقية فوق رأس الصغير..

---

(١) نعود لنشير إلى استنتاجنا السابق الذى يؤكد أن راسبوتين عرف طريقة للقصر الملكى قبل هذه الواقعة.. حيث أن ولىّ العهد مولود عام ١٩٠٤ كما أشرنا من قبل.. وعندما زاره راسبوتين كان فى الثالثة من عمره أى عام ١٩٠٧..

وسينتهي كل شيء).. ووضعت القيصرة البرقية فوق رأس الطفل فجفت دماؤه في الحال.. فزاد إيمان الأسرة الحاكمة بقدرة هذا الكاهن على الإتيان بما يشبه المعجزات.. واعتبراه بمثابة الملاك الحارس الذي بعثه الله لإنقاذ ابنهما من الموت.

(آنا فيرونوفا) :

لم تكن تلك هى المعجزة الوحيدة التي عمقت بلا نهاية ثقة الأسرة الحاكمة.. والقيصرة تحديداً في "راسبوتين".. فهناك واقعة أخرى كان لها تأثيرها الشديد على القيصرة.. ومن وراءها كل العاملين بالبلاط الملكي.. حيث أصيبت "آنا فيرونوفا وصيفة القيصرة وصديقتها المقربة بإصابات بالغة في رأسها وعمودها الفقري على إثر حادث قطار.. ودخلت في غيبوبة طويلة.. ويأس الأطباء تماماً من علاجها.. وأيقن الجميع أنها هالكةً لامحالة.. وذهب "راسبوتين" لزيارتها في المستشفي.. ووقف بجوار رأسها.. ووضع يده عليها.. وأخذ يتمتم بصلواته المبهمة.. ثم طلب منها أن تفتح عينيها.. وتحدثه.. ووسط ذهول الجميع فتحت آنا عينيها.. وحدثته بالفعل.. ذهل جموع الأطباء قبل غيرهم مما حدث.. وكافأته القيصرة على إنقاذه وصيفتها وصديقتها الوحيدة بأن أهدته صليباً كبيراً من الذهب الخالص كان يعلقه دائماً في عنقه.

الوسيلة الغامضة :

ولا يعلم أحد حتى يومنا هذا الوسيلة التي عالج بها "راسبوتين" الأمير الصغير أو وصيفة القيصرة.. إلا أن إحدى النظريات العلمية التي حاول أصحابها تفسير قدرة راسبوتين على وقف النزيف الذي أصيب به الطفل.. وعلاج الوصيفة.. تعلل ذلك بأن "راسبوتين" استخدم التنويم المغناطيسي الذي يعتقد بعض العلماء أنه كان أعلم أهل الأرض بفنونه وممارسته على الإطلاق.. وكانت كل أفعاله وتأثيراته في الآخرين تتم بواسطة هذا العلم .. ومن خلاله استطاع التحكم بمرض ولي العهد عن طريق إبطاء النبض.. ومن ثم تقليل القوة التي تدفع الدم إلى الدوران في الجسم .

تعددت الأسباب :

على كل الأحوال.. تعددت الروايات.. وكانت النتيجة واحدة.. هى تسلل "راسبوتين".. واقتحامه للبلاط الملكي.. كما أجمعت على أن "راسبوتين" استطاع بالفعل أن يكون سبباً في شفاء ولي العهد بتفاصيل تختلف ملامحها مع كل رواية من تلك الروايات.. إلا أن المؤكد هو أن ذلك كان جواز مروره إلى حيث أمسك بيده كل الخيوط التي مكنته فيما بعد من تحريك القيصر.. والقيصرة كدميتين في يده.. كيفما شاء.. ووقتما شاء.. وأينما شاء .

راسبوتين في بطرسبرج :

واستقر المقام براسبوتين في العاصمة الروسية بدءاً من عام ١٩٠٧.. وبذيوع شهرة "راسبوتين" ونفوذه على هذا النحو.. نجح في جذب المزيد من الأنصار من جميع الطوائف الاجتماعية.. وقد تطوع هؤلاء "البلهاء" كما كان هو نفسه يحلو له تسميتهم للاحتفاء وخطب ود الرجل الذي بدوا عاجزين ومشلولي الإرادة والتفكير أمام جاذبيته.. ونظرات عينيه المخترقة.. وبدأ يقتحم عالم الصفوة من أعلى طبقات المجتمع في "سان بطرسبرج".. ويكتسب كل يوم المزيد من العلاقات.. وفي فترة وجيزة أصبح محوراً هاماً لكل الجلسات الخاصة والعامة على كل المستويات في روسيا.. وكانت متابعة أخباره الخاصة.. والمشوقة هى أحد أهم الموضوعات المفضّلة لدى قراء الصحافة الروسية آنذاك.. بعد أن أصبحت تصل إليه يومياً العديد من الدعوات لاحتفالات و مناسبات معظمها وفى واحدة من تلك الحفلات وزادت نبوءاته الغريبة التى كانت تتحقق كلها من التفات هؤلاء حوله.. ففى إحدى الحفلات التى كان يحضرها.. وتحيط به العديد من سيدات هذا المجتمع الراقى.. نظر إلى إحدى الأميرات الصغيرات التى كانت ترقص فى الحفل.. وهزّ رأسه يمنةً .. ويسرة.. وهو يتحسر.. وعندما سألته إحدى السيدات الجالسات بجواره عن سبب ذلك قال لها: خسارة أن يكون مصير قدم تلك الفتاة الجميلة أن تُقْطَعَ.. وبعد شهر واحد أصيبت نفس الأميرة بمرض شديد فى ساقها التى حددها (راسبوتين) فاضطر الأطباء إلى بتر ساقها، وكانت معظم هذه

الحفلات تنظمها نساء وقعن تحت تأثيره.. وكن يرتمين بين يديه طواعية للحصول على بركاته والاستفادة من قدراته الخارقة للطبيعة فى شتّى النواحي بما عُرفَ عنه واشتهر به من شبق وقوة جنسية غير عاديين.. ووجدها راسبوتين فرصةً ذهبية للعودة لممارسة مجونه مرةً ثانية.. وبدأ يستجيب لهن ويعيش حياته الشخصية بكلّ وضوح وصراحة كعربيد وفاسق.. ساعده في ذلك أيضاً أنه بمجرد أن شاع بين مختلف الطبقات الاجتماعية والدينية والسياسية في روسيا قربه الشديد من الأسرة الحاكمة بهذا الشكل ..أصبحت باقي العائلات الأرستقراطية في روسيا يستقبلونه في قصورهم كفرد منهم.. شأنهم في ذلك شأن الأسرة الحاكمة.. وتحت ستار احترام الجميع له كقديس ورجل دين.. وبمنتهى الثقة في شخصه.. كان يدخل تلك القصور.. ويختلي بنسائها.. ويفعل بهن تحت تأثير التنويم المغناطيسي ماشاء.

مع مريديه :

ثم أخذت أحواله المادية في التحسن تدريجياً .. واشترى منزلاً كبيراً وفخماً بأحد أحياء العاصمة الراقية كان أشبه بالقصر منه للمنزل .. واستقدم لخدمته سيدة عجوز من قريته.. كان يثق فيها ويطمئن لها تماماً.. وكان يلتقي فيه مرة كل أسبوع بأتباعه.. والمؤمنين به من أبناء روسيا.. يمنحهم بركاته.. ويتلقي هداياهم.. وكانت تصله كل أسبوع مئات الخطابات من مختلف أنحاء روسيا.. وداخلها الهدايا والنقود.. فيكلف بعض أتباعه بالرد على الخطابات.. ويحتفظ لنفسه بعطاياهم .

صلاحيات بلا حدود :

ارتفعت أسهمه إلى عنان السماء.. وكان يسير به القدر إلى التملك التام لعقل.. وفكر القيصرة.. ومن وراءها زوجها القيصر.. فقرباه منهما.. وزاد تدخله في كل ما يخصهما حتي فى الطعام.. والشراب.. والملابس.. وحصل راسبوتين بذلك على صلاحيات واسعة جداً منحه إياها القيصر واصبح أقرب المقربين للعائلة الحاكمة.. فاستطاع راسبوتين أن يغير ويفرض شخوصاً بعينهم على مختلف الوزارات.. ومجلس الدوما (البرلمان الروسي).. مثل صديقه (ستويرمر) الذي استطاع في ديسمبر سنة ١٩١٦ أن يفرضه

رئيساً علي الدوما رغم معارضة النبلاء بل والامبراطورة الأم ذاتها.. وبالتالي فتحت أمام هذا الكاهن أبواب القصر.. وأيضاً فتحت أمامه كل الأبواب الموصدة.. وظل على ذلك قرابة عشر سنوات كاملة كانت له الكلمة الأولى في القصر الامبراطوري.. حتى أنه فى سن السابعة والثلاثين من عمره وجد نفسه وكأنه هو الجالس فوق عرش القيصرية الروسية.. وقيل إن خزانة روسيا القيصرية في ذلك الوقت كانت بأكملها تحت تصرفه ينهل من أموالها ما يشاء دون أن يجرؤ أحد على منعه.. أو سؤاله عما يفعل.. لكن نحن لا نتفق مع هذه الحقيقة ونراها مجرد ادعاء.. ومبالغة.. وإلا لو كان الأمر كذلك لامتلك راسبوتين ثروة خيالية كان سيكون لها ذكر فيما كتب عنه.. وهو ما لم يحدث.. فمعظم.. إن لم تكن جميع الكتابات التي تناولت سيرة حياته لم تشر من قريب.. أو بعيد لأى نوعٍ من الثراءٍ كان يتمتع به .. وإنما أجمعت على أنه أصبح فقط بمجرد اقترابه من القصر الحاكم بمثابة الحاكم الفعلي المطلق لروسيا ..

فقط.. بأمر راسبوتين :

وكانت الامبراطورة تحديداً هى أكثر الناس سعادةً بذلك.. وأصبحت بمثابة الخاتم الأول في أصبعه.. بعد أن أصبح القديس المبارك هو مستشارها الشخصي المؤتمن على أسرارها.. وأصبحت تُلقبْ راسبوتين بـ (مُخلِصّ روسيا).. وبنجاحه المعهود مع النساء.. لم تعد تستطيع أن تقطع أمراً دون الرجوع إليه.. ووقعت أسيرة لقدرته الفذة في التسلط على عقل وأفكار وإرادة الآخرين.. وذلك إما لهوى ما في نفسها تجاهه تحدث عنه الناس مدللين عليه بخلواتهما المنفردة عندما يزورها في القصر في موعد أسبوعي محدد(١).. أو لقوة تأثيره الشديدة عليها.. لذلك نجد العديد من الشائعات جمعت بين الاثنين.. كان من بينها اتهام صريح لهما بأنهما يتزعمان المجموعة المؤيدة لألمانيا ضد روسيا.. ويسعيان سراً لعقد تحالف منفصل مع بعض قوى المعارضة الداخلية التي تعمل ضد نظام الحكم .

---

(١) وصف البعض هذه الخلوات بأنها لم تكن بريئة.

أضعف القياصرة:

أما الخاتم الثاني فكان زوجها القيصر (نيقولا الثاني) الذي كان هو أضعف قياصرة (آل رمانوف) عبر القرون الثلاثة التي حكموا خلالها روسيا.. فبمجرد تعرفه على راسبوتين اتخذ منه هو الآخر جليساً ومستشاراً خاصاً له.. حتى ذابت شخصيته تماماً وتلاشت بجواره.. فكان كل ما ينطق به جلالته وما يسنه من قوانين مبعثه الأول هو أفكار وتدابير ذلك الشيطان.. ووصفه القيصر في مذكراته الخاصة بأنه رجل الرب.. والحقيقة أن القيصر نيقولا الثاني لم يكن يظن في راسبوتين أنه كذلك إلا بعد أن رأى من نبوءاته.. وأفعاله معه.. ومع ولى عهده ما كان يعجز وقتها عن تفسيره إلا بأن هذا الرجل مقدس ومكشوف عن بصيرته الغيب.. فوقع بذلك تماماً تحت تأثيره الطاغي.. لكن فيما بعد تولي رئيس وزرائه ستولبين توضيح حقيقة راسبوتين بالنسبة له.. وعلى النحو الذي سيلي ذكره في موضعه لكن القيصر فضل الاستمرار في تجرع كؤوس الوهم.. ليعطى راسبوتين الفرصة على طبقٍ من ذهب.. وما بين تسلطه علي القيصرة الشابة من ناحية.. وضعف زوجها القيصر من ناحيةٍ أخرى أمسك سائس العربات ومروض الخيول السابق بيده مقاليد البلاد يشد ويرخي لجام القيصر.. ومن خلفه روسيا بالكامل.. كيفما شاء .

العودة لما مضى:

كما استحوذت على راسبوتين أيضاً طباعه الزنديقية القديمة التي كانت متأصلةً فيه تماماً.. وعاد لسابق عهده منجرفاً وراء تيار البحث عن الملذات.. غير عابئ بحرمة قداسة الدين الذي أصبح هو رمزه الأول في روسيا منذ أن وطئت قدماه البلاط القيصري للمرة الأولى.. وما أصبح عليه من وضع.. ونفوذٍ جديدين.. لكنه كان يحن لماضيه وتاريخه الوضيع مع المومسات.. والعاهرات من بنات الليل.. لذا لم تستهويه نساء الطبقة العليا من المجتمع.. وإن لم يعرض عنهن تماماً.. وسرعان ما ذاع صيته على مستوى آخر.. كعربيد.. وسكير فاسق بعد أن انتشرت العديد

من الأقاويل التي تشهّر بزياراته المتكرّرة للعديد من الأماكن المشبوهة بالعاصمة الروسية.. وكانت أخباره تخرج للعامة والخاصة على السواء من هذه الأماكن الموبوءة تتحدث عن ولعه الشديد باحتساء الكحول.. وإدمانه لمضاجعة المومسات بشكل يمكن تحليله فيما بعد على أنه شبق مرضي.. حتى أن السفير الفرنسي في روسيا آنذاك وكان اسمه (باليونج) أبرق إلى بلده يصف راسبوتين قائلاً :

(راسبوتين سِكّير.. وفاجر.. وشهواني.. وهو ينظم حفلات ماجنة وداعرة.. لفتت إليه أنظار الشرطة.. والنساء اللائي يلجأن إليه لدواعى الدين أو حل مشاكلهن الخاصة ومشاكل أسرهن يجدن أنفسهن في النهاية معه في سرير واحد).

الصحافة تهاجمه :

وبدأت تصرفاته تلك تقلب الصحافة ضدّه.. بعد أن كانت في البداية تشير لقداسته.. وتتعامل معه باحترام يليق برجل دين تأتي على يديه المعجزات.. وأصبح البطل الرئيسى لصور الكاريكاتيرالسياسي الساخر الذي كان يصوره كمتلاعب مجنون بالعائلة الروسية الحاكمة التي ترعاه.. وبدأ اسمه يتردد في البرلمان وينعته أعضاء الدوما المبغضون له بـ "القوى السوداء".

تحت المراقبة :

وما لبث أن أصبح الوضع خطيراً لدرجة أنه وُضع تحت رقابة شرطة القيصر السريّة التي تعرف باسم "الأوكرانو" لمدة أربع وعشرين ساعة يومياً.. بأمر رئيس الوزراء "ستولبين" نفسه الذي كان من أقوى.. وأنجح من تولوا رئاسة الوزراء في روسيا القيصرية.. بعدها رفع رئيس الوزراء تقريراً بممارسات راسبوتين للقيصر.. الذي لم يهتم.. خاصةً عندما طالعت القيصرة ألكساندرا هذا التقرير.. وقالت لزوجها إنهم يكرهونه لأنه يحبنا.. لكن رئيس الوزراء ظل على إصراره لطرد راسبوتين من بطرسبرج.. ونجح في ذلك.. وعاد راسبوتين إلى العاصمة مرةً ثانية

بعد اغتيال رئيس الوزراء على النحو الذي سيلي ذكره.. وبدءاً من نفي راسبوتين خارج العاصمة على يد ستولبين.. بدأت ملامح الفصل الأخير تتحدد في مسيرة راسبوتين.. لكن تأجل إسدال الستار أربعة أعوام كاملة كان راسبوتين خلالها قد أرسى بكل قوة دعائم أسطورة يصعب على التاريخ تكرارها.

راسبوتين في مهب الريح!!

الفصل الرابع



راسبوتين في مهب الريح !!

كيف نظر المجتمع الروسي لراسبوتين :

انقسم المجتمع الروسي فريقين من حيث نظرة كل منهما لراسبوتين.. كان البعض يرون فيه قديساً.. ورجلاً مباركاً بحق..

بينما كان البعض الآخر على يقين تام من أنه لا يعدو كونه مجرد دجال استطاع أن يسيطر على القصر الإمبراطوري ويسوق الجميع لمصلحته الشخصية.. ومن بين هؤلاء كان الدوق الأكبر (نيكولاوس نيقولا فيتش) القائد العام للجيش الروسي وفى نفس الوقت كان ابن عم القيصر.. كانت له واقعة شديدة الطرافة مع راسبوتين نتوقف قليلاً عندها.. فعند اندلاع الحرب بين ألمانيا وروسيا.. وأثناء تواجد القيصر نيقولا الثاني مع ابن عمه في مركز قيادة الجيش أبرق راسبوتين للقائد العام يطلب منه تحديد موعد مناسب ليزور مركز القيادة.. ويبارك من فيه من الجنود.. فرد عليه الدوق الأكبر كتابياً قائلاً له :

(لا بأس أن تحضر.. ولكن أُبَشرُكَ بأني سأرأس بنفسي الاحتفال الخاص بقطع رأسك فيه).

كان الرد مهيناً للدرجة التي جعلت راسبوتين يتخلى عن هدوئه المعتاد.. فحمل البرقية وذهب بها إلى القيصرة.. التي استشاطت غضباً عندما قرأتها.. وبمجرد عودته إلى بطرسبرج أطلعت القيصر عليها الذي استشاط غضباً هو الآخر.. وطلبت منه القيصرة عزل ابن عمه عن قيادة الجيش.. واستجاب القيصر فى الحال وأصدر أمراً بعزل الدوق الأكبر.. وتولى هو القيادة بدلاً منه.. وأهداه راسبوتين

شكراً له على هذا الموقف الذي ردّ له فيه اعتباره وكرامته مشطاً ذهبياً باركه بنفسه لكى يستخدمه القيصر لتمشيط شعره قبل أن يدخل على زواره.. ووزرائه.. أو يتخذ أية قرارات هامة.

واستشاط قادة الجيش من عزل قائدهم.. وتعددت ردود الأفعال الغاضبة من جراء ذلك القرار.. حتى تقدم ثلاثة عشر وزيراً من الوزراء باستقالاتهم احتجاجاً على عزل قائدهم.. لكن تجاهل القيصر كل ذلك.. وأصَرَ على موقفه..

وكانت حقيقة الموقف أكبر بكثير من عزل قائد عسكري.. فلم يدرك هؤلاء.. أو يدر بخلدهم أن راسبوتين بنجاحه في السيطرة على القيصر لهذه الدرجة.. إنما يسير بـ "روسيا" ككلٍ نحو مصير مظلم مجهول في هاوية لا قرار لها بعد أن أصبح حاكمها الفعلي الذي يحكمها من وراء الستار.. وبدءاً من هذا الموقف زاد عدد الكارهين لراسبوتين.. ومن يفتشون وراءه.. وهو لايهتم.. ولا يُلقي بالاً.. لأيٍ منهم.

نبوءة خبيثة :

ولأنه كان يعرف أنه مكروه.. فقد أراد أن يؤّمن حياته بأن يوهم القيصرة بأنها ستفقد عرشها بعد ستة أشهر من وفاته.. وكان يقصد بذلك أن يحمي نفسه عن طريق إقناع القيصرة بأن حياتها.. وعرشها مرهونان ببقائه حياً.. فتعمل على حمايته حتى لايتعرض للقتل فتموت هى بعده مباشرةً .. وكان راسبوتين على مدار السنوات الخمس التي سبقت مصرعه قد تعرض لبعض عمليات الاغتيال.. أولها كان بتخطيط خاص من اثنين من أنصاره السابقين اولهم راهب يميني متعصب يدعى (ليودور).. والثاني هو (هيرموجان) أسقف ساراتوف.. وكان الاثنان لديهما قناعة تامة بأن الشيطان قد تجسد في شخص (راسبوتين).. وفي لحظة قررا الانقلاب عليه.. ربما حسداً من عند نفسيهما لما وصل إليه من مكانة.. وقداسة عند الجميع.. أو بإيعازٍ من أحد أعدائه اللدودين.

محاولة اغتيال بالصليب :

وفي أحد الأيام من عام ١٩١١ استدرجاه إلى طابق سفلي بمنزل أحدهما.. حيث واجهاه باتهامهما إياه بأنه يستخدم قوى شيطانية للقيام بمعجزاته وضرباه بصليب معدني ثقيل محاولين التخلص منه.. أو على الأقل تخليصه هو من الشيطان الذي توهما أنه يسكنه .. لكن تمكن راسبوتين من الفرار منهما.. وذهب إلى القيصرة حيث أبلغها بالواقعة .. فأبلغت بدورها القيصر الذي أصدر قراراً بنفي الرجلين تماماً من روسيا.

وأخرى علي يد عاهرة :

بعد نفيهما خارج بطرسبورج لم ينس الراهبان صديقا الأمس حقدهما على راسبوتين.. ففي السابع والعشرين من يونيه عام ١٩١٤.. وبعد قرابة الثلاث سنوات على محاولتهما الأولى.. وبينما كان راسبوتين يسير في قريته بسيبريا قاصداً مكتب البريد لإرسال إحدى البرقيات.. هاجمته إحدي العاهرات كانت تدعى (شيونيا جاسيايا) بوحشية مستخدمة سكينا محاولةً قتله.. وتبين فيما بعد أن هذه المحاولة كان وراءها (ليودور) أحد الراهبين المتورطين في المحاولة الأولى والمنفيين بسببه.. ونقل راسبوتين إلى المستشفى للعلاج من أثر الطعنات التى كادت أن تودي بحياته..

سيدي القيصر.. لاتحارب :

وأثناء وجوده بالمستشفى اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى باغتيال ثوار بوسينيا للأرشيدوق (فرانز فريدناند) ولى عهد النمسا.. وزوجته.. وأعلن القيصر دخوله الحرب إلى جانب بوسينيا.. وصربيا.. ضد ألمانيا التي وقفت بجوار حليفتها النمسا.. وقد حاول راسبوتين جاهداً عبر سلسلة من البرقيات أرسلها إلي القيصر.. والقيصرة إقصاء نيقولا الثاني عن دخول هذه الحرب.. وأرسل له قائلاً:

(إنني أطلب إلى بابا[1] ألا يخطط للحرب.. لأنه مع الحرب ستكون نهايتكم.. ونهاية روسيا.. وسوف نفقد فيها آخر رجالنا).

لكن كان الأمر قد خرج تماماً من يد القيصر.. وسبق السيف العزل.. ودخل الحرب بالفعل.

الغريب أن حماس الشعب الروسي لتلك الحرب كان في بدايتها شديداً للدرجة التي احتشدت فيها الجماهير في ساحة قصر سان بطرسبرج للهتاف باسم روسيا والقيصر.. فلما خرج نيقولا لتحيتهم من شرفة القصر ركعوا على ركبهم.. وهم يرددون الهتاف له.. وللحرب.

ولم تكن الجماهير المستثارة بكل هذا القدر من الحماس تعرف أن تلك الحرب التي لم يكن الجيش الروسي مستعداً على الإطلاق لخوضها سوف تكون مقبرةً لقرابة الأربعة ملايين شاب من أبنائهم.. فبعد أيام فقط من اندلاعها نفدت تماماً الذخيرة من أيدي الجنود.. وطلب من الجنود أن يبحثوا عن بنادق وذخيرة يكملون بها المعارك بين أشلاء القتلى.. والجرحى في ساحة القتال.. أما المؤن.. والطعام فكان نادراً ما تصل إليهم إمداداتها.

بيد إحدى عشيقاته:

ومحاولة أخري لقتله كانت بطلتها أيضاً إحدى عشيقاته وتدعى (أولجابو).. التي حاولت قتله بإطلاق الرصاص عليه من مسدسها الخاص.. لكن نظرة واحدة من راسبوتين إلى عينيها وهى تصوب نحوه مسدسها.. كانت كفيلة بأن ترتعش يدها لتطيش الرصاصتان بعيداً عن الهدف.. وتم نفى "أولجابور" إلي سيبيريا بناء على حكم المحكمة.

---

(١) ذكرت بعض الكتابات أن راسبوتين اعتاد مخاطبة القيصر بكلمة (بابا).. والقيصرة بكلمة (ماما)..

قتل.. ومهانة :

ومحاولة أخرى هى الأكثر مهانة بالنسبة لقداسة الراهب الزنديق.. حيث ترامي إلى سمع ضابط الشرطة (الكابتن ماتشوفسكي) أن زوجته (أولجا ما تشفسكي)[1] على علاقة براسبوتين.. فاصطحب معه ثلاثةً من جنوده.. وترصد لراسبوتين في أحد الميادين العامة.. وعندما ظهر.. انقضّ عليه هو وجنوده.. وخلعوا عنه ملابسه تماماً أمام جمع غفير من المواطنين الذين تجمعوا ليشاهدوا بأعينهم هذا المشهد الذي أصبح بعد عدة ساعات فقط هو المحور الرئيسى لأحاديث الجميع في روسيا وكل مكان.. وتم توثيق راسبوتين على أحد أعمدة الإنارة.. وانهال عليه الضابط وجنوده بالسياط.

وفيما بعد أصدر القيصر قراره بإعدام "الكابتن ماتشوفسكي".. ونفي الجنود الثلاثة الآخرين.

تكفير راسبوتين :

واستفزت أفعال راسبوتين رئيس المجمع المسيحي المقدس في روسيا.. فأصدر بياناً كنسياً يعلن فيه تبرئة الدين المسيحي من راسبوتين وأفعاله.. وأخذ يهاجمه في كل جلساته الخاصة.. والعلنية في المجمع.. وغيره من الأماكن العامة.. وذهب راسبوتين يشكوه إلى القيصر.. فأصدر القيصر أوامره بتكليف راسبوتين بإعادة تنظيم المجمع وتطهيره.. واختيار أعضائه.. وأن يتصرف مع رئيسه كيفما يحلو له.. فطرد راسبوتين رئيس المجمع.. وبعض أعضائه ونفاهم إلى سيبيريا.. وعين بدلاً منهم بعض أتباعه.. والموالين له.. وعلق على تلك الحادثة أحد أعضاء مجلس الدوما.. ويدعى (بوريشكيفتش) قائلاً :

"إن كل ما هو مطلوب ممن يطمع في منصب هام أو رفيع.. هو الذهاب إلى راسبوتين والحصول منه على كلمة واحدة ..بعد أن يقدم له كل فروض الطاعة.. والولاء".

---

(١) نلاحظ هنا أن اسم السيدة وهو (أولجا) يتشابه مع الاسم الأول لعشيقته التى حاولت قتله بالرصاص.. وربما تكون هى المقصودة فى كلٍ من الحادثين..

نهايـة الأسطـورة!!

الـفـصـل الخامس

نهاية الأسطورة ..!!

نبوءة الحرب ضد ألمانيا :

نصح راسبوتين القيصر بعدم دخول الحرب ضد ألمانيا.. إلا أن القيصر على غير عادته مع نصائح راسبوتين لم يسمع كلامه.. وقرر دخول الحرب.. بالرغم من كونه هو وقيصر ألمانيا.. أبناء عمومة.. ومرتبطين مع بعضهما البعض بعلاقة نسب.. فقد كانت القيصرة أيضاً هى ابنة عم قيصر ألمانيا.. لكن لم تمنعهما علاقة الدم.. أو النسب.. من اندلاع الحرب بينهما.. وخسرت روسيا فى هذه الحرب الكثير.. وقُتل مئات الآلاف من الجنود الروس.. وشعر الناس بحجم وفداحة ما نجم عن هذه الحرب من خسائر.. فبدأوا يكرهون القيصر وحكمه.. وندم الامبراطور على أنه لم يسمع كلام راسبوتين.. واعتبره من وقتها قديساً يجب ألا يقطع أمراً دون مشورته.. والرجوع إليه.

كذب راسبوتين.. وإن صدق :

ولم تكن نصيحة راسبوتين تلك للامبراطور بعدم دخول الحرب.. إلهاماً سماوياً.. أو رؤية خاصة ناجمة عن حنكة سياسية.. ولا حتى براعة في فهم الأمور العسكرية.. لكنها ربما كانت لاستشعار راسبوتين ضعف الجيش الروسي الذي أنهكته حماقات القيصر فى حروب عديدة ومتتالية.. أو أغلب الظن أنها كانت بإيعازٍ من القيصرة ذات الجذور الألمانية تعاطفاً مع أبناء شعبها.. وسواء أكانت هذا.. أم ذاك فلا تعدو كونها مجرد صدفة ساقها القدر إلى راسبوتين خدمته كثيراً ومكنته أكثر وأكثر من عقل القيصر الذي دخل هذه الحرب بغية بناء مجد شخصي لنفسه لو كسبها.. فانقلب الأمر عليه وتحولت تلك الحرب إلى مسمار أُخير من بين مسامير أخرى كثيرة كان يدقها في نعش عرشه يوماً بعد يوم بمطرقة حماقته.

مدينة الشيطان :

فى بداية الحرب لم تكن أحداثها تسيرفي صالح "روسيا" مما دفع القيصر لتولى قيادة الجيش الروسي بنفسه.. أى إنّه ابتعد عن "سان بطرسبرج" وترك زوجته الامبراطورة لتتولّى هى تسيير أمور الدولة داخلياً.. مما كان يعني من فرط انقيادها لراسبوتين إعطاءه الفرصة للعمل على توسيع نطاق سلطاته بشكل غير مسبوق لأى شخصٍ آخرعلي الإطلاق في البلاط الملكي الروسي علي مدار حكم (آل رومانوف) بالكامل.. وكما أشرنا من قبل أخذ يعيّن أصدقائه المقربين منه في المراكز العليا في الحكومة والكنيسة على السّواء.. ويعزل كل من يتوسم فيه عداءه لشخصه.. وأصبحت العاصمة بطرسبرج يطلق عليا تسمية مدينة الشيطان نظراً لوجود راسبوتين بها.. كل ذلك أوغرّ صدر العديد من النبلاء.. ورجال السياسة في البلاط القيصري ضده بشكل كبير.

القيصر يتمسك براسبوتين :

وحاول بعض النبلاء اقناع القيصر بعزل راسبوتين وحرمانه من كل الصلاحيات التى منحه إياها.. وتزعم هذا الاتجاه (بوريشكيفيتش) عضو مجلس الدوما.. الذي أخذ يناشد الأمراء.. والنبلاء.. والوزراء.. وكبار رجال الجيش والدولة أن يصارحوا القيصر بحقيقة الموقف.. وحقيقة الرجل الذي لم يعد يقطع أمراً دون الرجوع إليه.. وأن يحذروه بأن الثورة باتت على الأبواب.. ولكن القيصر مضى في عناده ورفض الانصياع لمطالبهم.

الاتفاق على راسبوتين :

كانت نتيجة تلك الدعوة التى تباناها عضو مجلس الروما أن اتفق مجموعة من النبلاء فيما بينهم على التخلص من راسبوتين وقتله.. وبدأوا يعدون العدة لذلك.. والحقيقة أن اتفاق هؤلاء على راسبوتين سبق تمكنهم من قتله فعلياً بسنواتٍ عدة..

وتزعم هذا الاتجاه في البداية رئيس الوزراء الروسي (ستولبين Stolypine) الذي اتضح فيما بعد أنه كان مدبر المحاولة الأولى لقتل راسبوتين على يد العاهرة - المشار إليها سابقاً- بالاشتراك مع الراهبين الآخرين .. وبدأ ثانيةً يعد العدة بالتعاون مع بعض الشخصيات السياسية الأخرى لاغتيال راسبوتين.. لكن لم يمهله القدر كثيراً.. فاغتيل رئيس الوزراء في دار الأوبرا بمدينة (كييف) .. وفي حضور القيصر.. والقيصرة بأنفسهما.. والغريب أن راسبوتين عندما شعر أن رئيس الوزراء يفتش وراءه أطلق شائعة يتنبأ فيها بمقتل (ستولبين) على أمل أن يتوقف الرجل عن محاربته.. ولكن شاء القدر أن تتحقق النبوءة بعد عدة شهور فقط من تصريح راسبوتين بها خلال إحدى جلسات راسبوتين الروحية بمنزله عام ١٩١١.. وتم اغتيال الوزير منتصف عام ١٩١٢ .

راسبوتين تحت الحراسة :

وكان راسبوتين يراقب كل ذلك من بعيدٍ لبعيد.. فلم يكن ذكاؤه الشيطاني ليعزله عما يفكر به أعداؤه.. ويدبرونه له.. خاصةً بعد تعرضه فيما سبق للعديد من محاولات القتل.. لكن لم يكن في يده أكثر من أن يحتاط للأمر قدر الإمكان.. لذلك لم يكن يسير منفرداً أبداً.. بل أصبح يسير دائماً وسط بعض الحراس المسلحين.. الذين لم يكونوا يفارقونه إلا عند دخوله على القيصر.. أو القيصرة.. أو ولي العهد.. ويقفون مرابطين دائماً أمام منزله .

رسالة ونبوءة الموت :

وفي أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩١٦ كتب راسبوتين هذه الرسالة إلى القيصر.. وكانت الرسالة تتضمن نبوءة غريبة يقول فيها:

"أكتب رسالتي هذه لأتركها برهاناً لي في مدينة القديس بطرسبورج.. وإني لأشعر أني مفارق هذه الحياة قبل اليوم الأول من شهر يناير.. وأتمنى أن يدرك كل الشعب الروسي.. وجميع الأطفال الروس والتراب الروسي العطر.. ما يجب أن

يدركوه.. فإذا ما قتلني إخوتي من فلاحي روسيا.. فلا خوف عليك أيها القيصر.. وسيبقى عرشك حاكماً.. ويا أيها القيصر لا تخش على أطفالك شيئاً.. فإن لهم حكم روسيا لمئات السنين.. ولكن إذا اغتالني أفراد العائلة المالكة والنبلاء.. وأهدروا دمي.. فسوف تظل أيديهم ملطخة بدمي.. ولن تغسلها السنوات الخمس والعشرون القادمة.. ولسوف يَهْجرون ويُهَجَّرون من روسيا.. تاركين الأخ يقتل أخاه.. ولن يكون للنبلاء مكان في البلاد لخمس وعشرين سنة قادمة.. يا قيصر الأرض الروسية.. إذا ما سمعت مناديا ينبئك بمقتلي.. فعليك أن تعرف التالي: إن كان قاتلي من أهليك.. فلن يبق منك ومن ذريتك أحد حياً في سنتين بعد موتي.. وسيكون قاتلك شعبك الروسي.. إنني أرحل وفي داخلي أمر إلهي.. أن أخبر القيصر الروسي بالذي عليه فعله بعد رحيلي.. توخ الحكمة فيما أنت فاعل ومقدم عليه.. وترقب صدى ذلك في نفوس رعاياك.. عليك بسلامتك.. واخبر من حولك من الأقرباء.. أني أشاطرهم بقاءهم بدمي.. إنني مغادر الدنيا.. ولم أعد من أحيائها فصلٌ لأجلي.. صلِّ وكن قوياً.. واعتن بعائلتك المباركة... "جريجوري".

هذا هو نص (الوصية النبوءة) التي كتبها راسبوتين.. وتركها للقيصر.. وقيل إن هذا الخطاب عُثر عليه فى جيب السترة التي كان يرتديهاعندما قتل[1].. ووجدوها أثناء تفتيش الجثة بعد استخراجها من ذلك النهر الذي كان راسبوتين عندما كان يتمشى بمحاذاته يقول "إني أراه ممتلئاً بدماء الدوقيين والنبلاء"..

المؤامرة :

وفي ليلة السادس عشر من ديسمبر عام ١٩١٦ قرر مجموعة من هؤلاء النبلاء هم ابن عم القيصر الجراندوق ديميرتي بافالويتش.. والسياسي فلاديمير بيرشيكفيتش.. وزوج ابنة شقيق القيصر الأمير فليكس يوسوبوف ضرورة التخلص

---

(١) هـذا مـا ذكرته بعض الكتب... لكننا نتوقف لنتساءل كيف يمكن لرسالة ورقية أن تبقى فى جيب غريق ظلـت جثته بالماء يومـين ونصف... لابد أن يمحوها الماء ويطمس معالمها والأرجح أنه تركها بين أوراقه.. أو أرسلها للقيصر قبل مقتله بطريقة ما..

من راسبوتين بعد أن وجدوا أن هذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على بقاء العائلة المالكة.. وانقاذ وطنهم من بين براثن هذا الشيطان وبدأوا يعدون العدة لذلك.

النبوءة تتحقق :

وتحققت نبوءة راسبوتين التى حملها خطابه للقصير كاملةً فيما بعد.. فمات راسبوتين قتيلاً على يد "يوسبوف".. وكان ذلك في ليلة التاسع والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٩١٦.. بعدها تم القضاء على العائلة المالكة بكاملها في (كاترينبرج) عام ١٩١٨.. واندلعت حرب أهلية شرسة بين الروس البيض.. وبين صفوفهم النبلاء والطبقة الارستقراطية من العهد القديم.. وبين الشيوعيين الحمر.. مات خلالها الملايين.. وهربت طبقة النبلاء.. تاركة روسيا لأكثر من خمس وعشرين سنة.. ومات خلال أشهر من الحرب العالمية الأولى قرابة الثمانية ملايين مواطن روسي.

ورسالة أخري إلي القيصرة :

وقيل إنه كتب رسالة أخري مماثلة إلي القيصرة قبل حادث اغتياله بأشهرٍ قليلة قال فيها :

"سأموت موتاً شنيعاً بعد عذابٍ شديد.. و بعد موتي.. لن يكون لجسدي راحة.. وستتجرّدين من الملكية على روسيا.. وأنتَ وابنك ستغتالان.. وكذلك كلّ العائلة الملكية.. وسيعبر روسيا بعد ذلك طوفان رهيب.. وستقع بين يديّ الشيطان"

ورسالة إلي عائلته :

وكتب راسبوتين قبلها لعائلته رسالة مماثلة فحواها أنه يرى الموت وقد أصبح وشيكاً ويقترب منه بشدة.. وأنه لايملك إلا انتظاره.. والاحتياط منه قدر الإمكان[1]..

---

(١) مـن أغرب المفارقـات فى التراجم التى تعرضت لسـيرة راسبوتين أنها جميعهـا أغفلت تماماً علاقته بزوجتـه... وأبنـاءه.. وباقى أسرته التى ظلت تعيش فى قريتـه بسيبريا... ولن يفكر إطلاقاً فى استدعاءها للمعيشة معه فى العاصمة.. ولقد حاولنا كثيراً الإهتداء إلى دلالات تشير لمصير أسرته سواءاً فى حياته بعد صعود نجمه.. أو فيما تلى مقتله.. فلن نجد.

(القصة الشائعة لمقتل راسبوتين)

في ليلة التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٩١٦ استدرج الأمير فليكس يوسوبوف (زوج إيرينا ابنة شقيق القيصر) راسبوتين إلى قصره الخاص الذي كان يسمي "قصر مويكا".. والذي كانت تسكنه عائلة "يوسوبوف" إحدى أغنى العائلات في "روسيا" آنذاك.. كان غناهم الفاحش هذا سبب شعورهم بخطر مركز "راسبوتين" الذي كان يقوى أكثر فأكثر.. ومن ثم كان الدافع الرئيسي الذي جعل يوسبوف يسعي لقتل راسبوتين.. وكانت وسيلة الأمير لاستدراج راسبوتين إلى قصره تنبع من إدراكه أن راسبوتين ضعيف تماماً أمام شيئين.. النساء.. والخمر.. لذلك خلق له قصةً وهمية من أن زوجته الأميرة إيرينا التي كانت تعد وقتها من أجمل نساء روسيا ترغب في لقائه والانفراد به لتسرّ إليه بشيء خاص.. سال لعاب راسبوتين للأمر.. وبدأ يعد عدته لكي يمارس هوايته في التأثير علي المرأة ليضمها إلي قائمة عشيقاته.. وأغراه الأمير أيضاً بأنه يحتفظ في قصره بأصناف شتي من الخمور المعتقة التي لم يذق مثلها في حياته.. وما عليه إلا أن ينتقي منها ما يحلو له عند زيارته للقصر.

وعندما توجه راسبوتين للقصر استقبله الأمير بترحاب شديد.. وطلب منه مرافقته لرؤية القبو الذي يحتفظ فيه بأفضل انواع الخمور.. وأخبره أن الأميرة معها بعض الضيوف بالطابق الأعلي.. وستنزل للقائه بعد قليل.

كعك.. وخمر:

وبينما كان راسبوتين جالساً فى القبو ينتظر من يصحبه لداخل القصر للقاء الأميرة.. ويعلو صوته وهو يدندن بالغناء مع موسيقي الأغنية المنبعثة من الجرامفون.. قدم خادم القصر لراسبوتين كعكاً وخمراً مدسوساً بهما سم السيانيد القاتل من فوره لمن يتناوله.. وتناولهما راسبوتين دون أن تبدو عليه أية آثار لما تناوله من سم.. عندها أصيب يوسوبوف الذى عاد إليه بعد برهة بحالة شديدة من الهلع لما بدا له من حصانة راسبوتين ضد السم الذي لم يؤثر فيه علي الإطلاق.. بل وطلب بنفسه

من الخادم المزيد من الكعك.. والشراب.. وتناول منهما بالفعل كميات كبيرة.. تكفي لقتل العديد من الأشخاص.. وليس شخص واحد.. بعدها أحس راسبوتين فقط بشيء قليل من الإعياء.. وعندما سأله مضيفه (هل يشعر بشيء غير طبيعي) أجابه بأنه يشعر فقط بدوار خفيف.. وبعض الجفاف في حلقه.. وطلب منه أن يوافيه بالمزيد من الكعك.. والشراب علّ هذه الأعراض تختفي.. وكان يوسوبوف يحدثه وهو يريه إحدي اللوحات الأثرية الموجودة بالمكان.. ويناقشه فيها ليتبين إلي أي مدي وصل تأثير السم عليه.. وعندها لم يستطع يوسوبوف السيطرة على نفسه فنزع مسدسه وأطلق النيران على راسبوتين ليسقط متكوراً على الأرض.. فاقترب يوسوبوف لتفقد الجثة والتأكد من وفاته وهو يشعر بتوتر شديد في أعماقه مع تساؤلات لا حصرلها نتيجة عدم تأثر راسبوتين بالسم.. ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فقد تضاعف توتر يوسوبوف وشعر برعب هائل بعد أن شاهد راسبوتين يستعيد وعيه بشكل مفاجئ ليمسك رقبته محاولاً خنقه.. ولكنه استطاع ان يخلص نفسه ويلجأ لرفيقيه بفالوفيتش وبيرشيكفيتش المختبئين في القصر في انتظار نجاح الخطة ليقوما بدورهما بالتخلص من الجثة.. وهو يصرخ طالباً منهم النجدة.. وعندما ذهبوا جميعاً لرؤية راسبوتين في القبو لم يجدوه هناك.. بل وجدوه قد تسلل إلي حديقة القصر يحاول الخروج منه والهرب بعيداً.. ويسير مترنحاً بصعوبة بالغة من شدة الألم.. فاستل أحدهم قضيباً حديدياً هوي به على رأس راسبوتين.. بضربة لم تفلح هي أيضاً في أن تخمد أنفاسه للأبد وإن توهم ثلاثتهم ذلك.. ولما وقع علي الأرض قيدوه بالسلاسل ثم لفوا جميعاً جسده في إحدي الستائر.. وحملوه في سيارة أحدهم.. إلي حيث جسر يعلو نهر (نيفا) الجليدي.. وألقوا بالجسد الذي كان مازالت به خفقات من الحياة في مياه النهر.

حتي آخر نفس :

وعندما تم العثور على جثته فيما بعد أصيب الجميع بدهشة عارمة عندما تبين لهم أنه قاوم الموت حتى آخر لحظة في حياته.. وبالرغم من اصاباته القاتلة فقد نجح في فك قيوده الحديدية في قوة وإراده لا يمتلكها انسان عادي.. ولم يمت الا

غرقاً بعد ان عجز عن الخروج من النهر لكثرة جراحه.. أي انه لم يمت بالسم.. أو بالرصاص.. ولا حتى بالضرب الذي تعرض له والذي كان كافيا لقتل اي انسان مهما بلغت قوته.

مات غرقاً :

وهو بالضبط ما أشارت إليه فيما بعد أوراق القضية عندما تم العثور على الجثة بعد يومين ونصف وتشريحها.. حيث أكد طبيب التشريح أن راسبوتين مات غرقاً بفعل وجود الكثير من المياه في الرئتين.. ولم يمت بفعل السم.. أو طلقات الرصاص.. أي أنه كان ما زال حيا عندما ألقى به في النهر.

والأغرب :

والأغرب هو عدم تأثر جسم راسبوتين بكل هذا القدر من سم السيانيد القاتل.. لكن كتب التاريخ.. وسيرة الرجل لم تغفلا هذه الجزئية.. وكان لهما باع طويل في تفسيرها.. حيث فسر العلماء عدم تأثره بالسم الذي تناوله بسبب إصابته السابقة بالتهاب مزمن في معدته نتج عنها نقصان في المعدل الطبيعي لنسبة الحمض المعوي عمل علي تقليل تأثير السم.. حيث إن تناول الخمور بشكل مكثف يقلل كثيراً من افراز المعدة لحمض (الهيدروكلوريك) وبما أن (السيانيد) ليس مادة سامة بحد ذاته وإنما تنشأ سميته من تفاعله مع حمض الهيدروكلوريك الموجود بالمعدة لدي الإنسان الطبيعي.. وهو مايسبب الوفاة.. لذا فإن عدم افراز معدة راسبوتين لذلك الحمض هو سبب عدم تأثره بالسم.. في حين يخالف البعض هذا الرأي بقولهم إن راسبوتين كان يتناول السم ويضعه بنفسه في طعامه وشرابه بنسب وجرعات صغيرة ومحددة.. خوفاً من أن يدس له أحد السم في طعام أو شراب.. مما كون لديه حالة من المناعة الجسمانية ضد معظم أنواع السموم التي كانت معروفة وقتها ونقول نحن ربما كان السببان معاً مجتمعين هما وراء عدم تأثر راسبوتين بما تناوله من طعام وشراب مشبعان بالسم.

العثور علي الجثة :

تم العثور على جثة راسبوتين فى أول يناير سنة ١٩١٧.. وكانت درجة الحرارة يومها عشرين درجة تحت الصفر عندما تصادف مرور بعض الأشخاص بجوار شاطئ النهر وشاهدوا تحت الجليد شيئاً غريباً ملفوفاً بقطعة من القماش الأسود.. فقفز أحد الشبان إلى الجليد ومد يده وسحبه من الحبل المربوط به إلي الشاطئ.. وظل يسحب الحبل والجليد ينكسر أمامه حتى وجد جثه كاملة لرجل ضخم قتيل أطلق الرصاص عليه.. وكانت إحدي ساقيه بها حذاء.. والأخرى عارية.. وأدرك الناس علي الفور أن القتيل ما هو إلا راسبوتين الذي كانوا جميعاً يعرفونه من تكرار نشرصوره في الصحف الروسية بشكل يومي.

وتم الاحتفال علي المستوي الشعبي بنبأ موت راسبوتين.. أما الأمير "فيليكس يوسوبوف" فقد أخذ يتفاخر ويتباهي معترفاً فيما بعد أنه وبكل فخر هو الذي استدرج هذا الشيطان إلي قصره وقتله بيده هناك.. وذلك قبل أن يصدر نيقولا الثاني قراراً بنفيه هو وباقي القتلة خارج البلاد..[1] وحزن القيصر.. وكذلك القيصرة علي قديسهما الصريع حزناً شديداً.. وأصرت القيصرة علي أن تقام له جنازة رسمية.. وأن يتم دفنه في حديقة أحد القصور الملكية.. بينما لم يهتم مؤرخو هذا الزمن بذكر أية معلومات عن مصير أسرة راسبوتين التي كانت مازالت تعيش في قريته الواقعة في أنحاء سيبيريا.

---

(١) نشـر يوسبوف مذكراته الشخصية بعد ارتكاب الجريمة بحوالي عشر سنوات.. وتلقفتها شركة (مترو جولدن مايـر) وأخرجت بناء علي ما جـاء بها من أحداث فيلمـاً بعنوان (راسبوتين الراهـب المجنون).. وعُرض الفيلـم في جميع دول العـالم.. وأثار ضجة كبـيرة.. وأقام الأمير وزوجته دعوى ضـد صناع الفيلم لأنهـم غيروا في الأحـداث بما يشوه صورتهم.. ويسـيء بشكل خاص لزوجة الأمير والتـي ادعي الفيلم أنها كانـت عشيقة لراسبوتين.. وفيما بعد حكمـت المحكمة للزوجة في فبراير ١٩٣٤ بتعويض قدره ٢٥ ألف جنيه أسترلينـي.. واستأنفت الأميرة الحكم ضـد دور العرض التي عرضت الفيلم في بريطانيا وكان عددها ٢٥٠ دار عرض وحصلت منها جميعـاً علي تعويض قدره (مليـون) جنيه.. الطريف أن إحـدي ابنتى راسبوتين نيابة عن العائلة أقامت هي الأخري بناء علي مذكرات الأمير.. واعترافه في قاعة المحكمة التي كانت تشهد قضية التعويض بارتكابه الجريمة دعوي مضادة في باريس حيث كانت تقيم.. لتطالب بمحاكمة الأمير علي ارتكاب الجريمة.. لكن مصير القضية أصبح في علم الغيب ..

أما الشعب الروسي فقد نظر إلى القتلة بعد اعترافهم بارتكاب الجريمة كأبطال شعبيين أنقذوا روسيا من نفوذ ذلك الراهب المجنون.. ومن العجب أن هذه العقوبة أنقذتهم في النهاية من السجن أو الاغتيال بأيدي البلشفيين بعد اندلاع الثورة.. التي قام الثوار خلالها باستخراج جثة راسبوتين وحرقها أمام مبني الكرملين بالعاصمة الروسية.. وكان ذلك في شهر فبراير عام ١٩١٧.

ويبقى سؤال:

عندما تعرض راسبوتين من قبل لواقعة الجلد- فقط- فى ميدان عام.. ثار القيصر.. وأصدر أوامره بمحاكمة الفاعل وسعى لكى ينزل به أشد العقوبة وهى الإعدام.. وقد كان.. لك عندما قُتِلّ راسبوتين بالفعل.. اكتفى القيصر بنفى الفاعل فقط.. وكان المفروض أن تكون العقوبة مماثلة فى الحالتين.. تقضى بإعدام من قتل.. واعترف بجريمته.. بل وتباهى بها.. لكن يبدو أن هناك جهات "ما تدخلت لدى القيصر لتخفيف الحكم إلى هذه الدرجة.. ربما لعلاقة القيصر المصاهرة والنسب بين القيصر.. والقاتل.. أو ربما لاسباب أخرى بقيت وستبقى مجهولة للأبد.

إعادة التحقيق !!

وبعد وفاته بحوالي تسعين عاماً.. ودون أن يدري أحد سبباً لذلك.. تقرر إعادة فتح التحقيق في وفاة راسبوتين.. الجهات التي تولت تمويل المشروع لم يعلن عن هويتها رسمياً [1].. لكن كم التسهيلات التي تمتع بها فريق التحقيق يؤكد أنها جهة مخابراتية علي أعلي مستوي.. خاصةً أن الهدف الأساسي من إعادة التحقيق جاء ليحسم ما تردد بعد اغتيال راسبوتين عن وجود دور ما لبعض أجهزة المخابرات في اغتياله.. قد تكون الروسية.. أو الألمانية.. أوالبريطانية.. وتم اختيار ضابط بريطاني يدعي "ريتشارد كالان" يعمل مفتشاً بدائرة المباحث الإجراميّة في شرطة "لندن".. لهذه المهمة تحديداً لأنه كان علي علاقة وطيدة بالشرطة الروسية.. حيث قضي من عمره سبعة أعوام عضواً في بعثة الشرطة التي أرسلتها الحكومة البريطانية إلى "بطرسبرج" يساعد الروس في تدريب المحقّقين على تقنيّات بحثية.. وجنائية متطوّرة .

الشك أولاً :

تعامل "ريتشارد كالن" مع ملف القضية بمبدأ التشكّيك أولاً في مصداقية كل مسلماتها.. وصولاً للحقيقة.. التي إن اتفقت مع تلك المسلمات فلا ضير.. وإن تعارضت فسوف تكون طريقاً جديداً للتأكد مما يحاك من أقاويل حول الرجل.. وملابسات اغتياله.

---

(١) تم تصوير فيلم تسجيلى عى إعادة فتح ملف التحقيق أنتجته (قناة الجد الوثاقية) ويوجد على موقعتها على شبكة المعلومات الدولية.

جسر "نيفا" :

وبدأ بحثه عن الحقيقة بالعودة إلى الجسر الذي يعلو نهر "نيفا" الجليدي والذي أُلقيت من فوقه جثة "راسبوتين" بعد قتله.. ليحاول أن يعيش نفس اللحظة التي توقفت فيها أنفاس روسيا بالكامل.. بينما تتشكل من هنا.. لحظة إلقاء الجثة إلي مياه النهر ملامح نقطة فارقة في تاريخها.

إذن خاص :

ثم توجه إلي أرشيف الدولة الروسية- حيث يحفظ هناك عبر عدة قرون متتالية الملايين من وثائق وملفات قضايا الدولة الهامة بما فيها ملف اغتيال "راسبوتين" واستطاع "كالن" أن يحصل على إذن خاص بالإطلاع على هذا الأرشيف.. وحمل معه صورة ضوئية من الملف الأصلي للقضية ليبدأ رحلته لكشف الحقيقة.. الملف كان به الوثائق الأصلية التي كتبت في الأيام التي تلت اختفاء "راسبوتين".. وقبل العثور علي جثته فيما بعد.. وكانت تشير الأدلّة المُدوّنة والصور الموجودة بالملف إلى أن الدماء غطّت الطريق بشكل كبير.. وإلى وجود قدر كبير منها أيضاً علي كمية من القشّ وجدت فوق حافة الجسر.. ورسم كالن تخيله المبدئي للجريمة من آخر صورها عندما رفعت جثة "راسبوتين" ووضعت علي حافة الجسر المعدنية.. ثم ألقيّ بها إلى مياه النهر "نيفا" الجليدي.. حيث عُثر في اليوم التالي على آثار الدماء وعلى فردة حذاء "راسبوتين".. واستغرق الأمر يومين آخرين لإيجاد الجثة.

قصر "يوسوبوف" :

إن ثاني خطوة من التحقيق تتمثّل في ضرورة مراجعة الأحداث التي وقعت ليلة تنفيذ الجريمة كما ذكرت في الرواية المزعومة.. قام "كالن" بزيارة موقع الجريمة في قصر "يوسبوف" الذي أصبح اليوم أحد المعالم السياحيّة الجذابة بالنسبة للسياح الوافدين إلي روسيا.

تفاصيل الجريمة :

وطبقاً لما جاء بمذكّرات الأمير " يوسوبوف" جرت تفاصيل الجريمة كالتالي :

في الغرفة الخاصة بـ " يوسوبوف" اجتمع ليلتها المتآمرون الأربعة الآخرون.. يجلس إلى يمينه "بوراسكافيش" أحد أعضاء البرلمان الروسي.. وإلى جانب الباب يجلس الدكتور " لازافرت ".. الذي كان دوره في هذه المكيدة أن يدسّ السمّ في قطع الحلوى التي كان "راسبوتين" سيتناولها بحسب ما زُعم.. وعلى الناحية الأخرى من الطاولة كان يجلس دوق "ديميتري بافلوفيتش" أحد أقارب القيصر المفضلين وقد كان في أحد الأيام خطيب كبرى بناته.. وإلى جانب النافذة يقف الملازم "شاكوتين" الذي لا نعرف عنه سوى أنه صديق مقرّب من "فيليكس يوسوبوف".

يوسوبوف:

صادق الأمير "يوسوبوف" "راسبوتين" وفي نيته الغدر به.. وعمل علي توطيد صداقته براسبوتين ليتمكن فيما بعد من أن يستدرجه إلي قصره دون أن يصطحب راسبوتين معه أية حرّاس.. ومن أقواله النصية في مذكراته الشخصية :

(كانت الأفكار تدور في رأسي خلال زيارتي الأخيرة لـ"راسبوتين".. كان هدفي إبقاءه في مزاج جيّد وإبعاد الشكوك عنّي).

لكن " يوسوبوف" الذي يبدو أنه شعر فيما بعد بالندم على فعلته عاد ليقول في أقواله: (لقد شعرت بالقرف والخزي من الأسلوب الخبيث الذي اتبعته لاستدراج هذا الرجل إلى منزلي.. حين دخلنا إلى البيت سمعت أصوات أصدقائي.. لقد انتظر باقي المتآمرين في الأعلى.. وفي الطابق السفلي كانت قطع الحلوى والنبيذ مشبعة بالسم.. وبينى وبين نفسي تساءلت.. هل يشكّ بشيء؟ ثم قرّرت أنّه مهما كان الأمر فيجب ألا يخرج من البيت حيًّا.. توقّف "راسبوتين" ليسمع .. "ما الذي يجري؟".. وأخبرته أن لدى زوجتي بعض الضيوف وسوف يغادرون قريباً.. حملت صحن الحلوى وناولته

إيّاه.. كان في رأسي فكرة واحدة هي أن أدفعه إلى الشرب من أحد الكؤوس المسمّمة.. والأكل من الحلوى المسمّمة أيضاً.. فأكل وقال لي : إنّها حلوة جدّاً.. وقفت أمامه مراقباً كلّ حركة كان يقوم بها متوقّعاً أن تكون إحداها حركته الأخيرة.. نظر إلى فبدا لي وكأنه يقول لي :أترى.. مهما حاولت لن تتمكن من إيذائي.. وبدا لي أن السمّ لم يأتِ معه بأي مفعول.. فهرعت مذعوراً إلى باقي المتآمرين حاملاً الخبر وقد خشيت من قدرات "راسبوتين" الغامضة التي كنت أؤمن بها تماماً.. قلت لهم : لم يُؤد السمّ أي مفعول.. وبدأنا بمناقشة الخطوة التالية.. أخيراً ذهبت إلى غرفة الطعام وتناولت مسدسي.. وأطلقت عليه رصاصتين.. شعرت بصاعقة من البرق تعبر جسدي.. كان الأمر مفاجئاً بالنسبة إلى.. ثم عدت إلى غرفة المتآمرين راضياً بإنجاز المهمة.. ولكن حين سألوني عمّا إذا كان "راسبوتين" قد مات بدأت أتساءل عمّا إذا كان الرصاص الذي أطلقته عليه قتل؟.. أم لا ؟.. ضربني فجأة شعور ينذرني من شيء ما.. وكانت لديّ رغبة قويّة بالنزول إلى غرفة الصالون لأرى "راسبوتين" جثة هامدة.. كانت عينا "راسبوتين" الخضراوان[1] المرقّطتان كالأفعى مثبتتان نحوي.. حاولت أن أبتعد لكنه كملقاط حديدي تمسّك بي بقوة هائلة.. ركضت إلى الأعلى لأنادي "بوروسكافيتش".. تحرّك "راسبوتّين" للمرة الأخيرة نحو الباب.. كان كحيوان مجروح.. لحق به " فلاديمير بوروسكافيتش " مسرعاً وأرداه ببضعة رصاصات قاتلة .

مسدسان.. وقاتلان :

وهنا نتوقف عند تعليق الضابط البريطاني على تلك المذكرات.. وتشكيكه في صحة أقوال كل من الرجلين.. حيث يقول :

أصبح لدينا الآن مسدسان وقاتلان.. لقد كتب "بوروسكافيتش" أيضاً عن أحداث تلك الليلة.. وقارنت بين مذكّرات الرجلين ووجدت عدداً هائلاً من الفوارق الأساسية والمهمة.. حيث يقول "بوروسكافيتش" إنّه بعد أن أطلق النار على "راسبوتين" في الحديقة وقف إلى جانب الجثة لمدة دقيقتين.. لم يرَ خلالهما "يوسوبوف" الذي يقول إنّه كان موجوداً في الحديقة.

(١) سبق أن أشرنا إلى تردد من يصفون عيني راسبوتين بين الإخضرار.. والزرقة.

هذا التضارب والتناقض الذي ورد في مذكرات الرجلين دفع "كالن" إلى عدم أخذ كلام أي منهما في حسبانه.. ودفع المحقق البريطاني أن يدقق أكثر في تفاصيل الجريمة وصولاً إلي الحقيقة .

صور الجثة :

كانت الخطوة الثانية التي قام بها المحقق هي معاينة صور جثة "راسبوتين" التي يُحتفظ بها في سجل كامل بمعرض "سان بطرسبرج" للتاريخ السياسي.. والتي على الرغم من نشر البعض منها.. إلا أن المجموعة الكاملة لم تُنشر أبداً.. وبدأ "كالن" يدون ملاحظاته الخاصة حول تلك الصور.. والعديد من الملاحظات الأخري حول القضية ككل والتي كان أولها هو اختفاء الجثة في البداية.. حيث لم يعثروا عليها إلاّ بعد ستة وثلاثين ساعة من وقوع الجريمة(١).. وبدأ يقارن بين تلك الملاحظة.. والصور التي أُخذت بعد إخراج الجثة من نهر "نيفا" المتجمّد.. واستنتج الآتي :

١- كان جسد "راسبوتين" متجلّداً.. وهذا شيء طبيعي نظراً لطول الفترة التي قضاها في المياه الجليدية المتجمدة .

٢- تبينّ إحدى الصّور فتحة دخول الرصاصة إلى الجهة اليسرى من الجثة مباشرة تحت الصدر وهو مطابق للرمية التي قال "يوسوبوف" إنّه أطلقها عليه في بهو القصر.

٣- صورة أخرى تبينّ جرح الرصاصة إلى الجهة اليمنى من ظهر "راسبوتين" وهي تتماشى مع الطلقة التي قال " بوروسكافيتش" إنّه أطلقها عليه في الحديقة.

٤- عند التدقيق في الصور عن قرب تدلّ العلامات الدامية حول حافّة الجرح على أن إطلاق النار كان عن قرب.. مما يعني أن الجرح لا يتطابق مع وصف "بوروسكافيتش" الذي قال إن إطلاق الرصاص كان من مسافة بعيدة ..

(١) ذكر فى بعض الكتابات أن الجثة مكثت بمياه النهر يومين ونصف... وأخرى ثلاثة أيام..

٥- كان هناك جرح ثالث ناجم عن طلقة رصاص أخرى ظاهرة على جبهة "راسبوتين".. لم يذكر "يوسوبوف" ولا" بوروسكافيتش" أي شيء عنه .. وبما أن الاثنين لم يذكرا شيئاً عن إصابة في الجبهة فما حقيقة هذا الجرح الثالث ؟

من هو الشخص الثالث ؟

بناء علي الاستنتاجات السابقة أصبح لدي المحقق البريطاني"كالن" قناعة بوجود مسدس ثالث مجهول يؤكد وجود قاتل ثالث.. من الممكن أن يكون قد اشترك في الجريمة ولم يأتِ ذكره في أوراق القضية وملفها.. فمن هو هذا الشخص ؟.. وما مدى صحة هذا الاستنتاج؟.. أصبح هذا التساؤل الآن هو الأكثر إلحاحاً على عقل"كالن".. ويحتاج منه إلي دليل أكثر حسماً للتأكد منه.

"إليا جافرينول" :

وكان (كالن) خلال سنوات عمله في أكاديمية الشرطة ب "سان بطرسبرج" قد قام بتدريب بعض المحققين الشبّان انتقى من بينهم أفضلهم وكان يدعي "إليا جافرينول" واختاره ليعاونه في التحقيق.. واقترح إليا علي "كالن" الإستعانة بإحدي الدراسات المفصّلة التي أجريت حول مقتل "راسبوتين" قبل ذلك التاريخ بنحو عشرة أعوام.. وأجراها واحد من أهم المحققين في"روسيا" يدعى "فلاديمير زهاروف" واطلع خلالها على كل الوثائق المتعلقة بالجريمة .

"فلاديمير زهاروف" :

وتقابل كل من المحققين مع البروفسور "فلاديمير زهاروف".. الذي اتضح أنه هو أيضاً قد توصل مع اثنين من زملائه عند إعادة التحقيق لقناعة لم يستطيعوا إثباتها تؤكد ضلوع شخص ثالث في الجريمة.

وسأله (كالن) كيف توصّلت إلى هذه النتيجة؟ فأخبره "زهاروف" بأن القياسات المجهرية لثقوب الرصاصات تثبت أن الرصاصات الثلاث كانت من قياسات مختلفة..

مما يعني وجود ثلاثة مسدسات استخدمت في إطلاق النار.. معلوم منها اثنان.. ومجهول هو الشخص الثالث الذي تسبب إطلاقه الرصاص.. في ذلك الجرح الذي يتوسط الجبهة.. مما يؤكد بالفعل وجود شخص ثالث شارك في الجريمة.. كما أكّد "زهاروف" أن تصويب الرصاصة الثالثة مباشرة وسط جبهة "راسبوتين" بهذا الشكل يدلّ على أن القاتل الثالث ليس قاتلاً عادياً.. إنما هو قاتل محترف.

أجواء الجريمة :

كان لابد لمحقق بخبرة وحرفية "كالن" أن يحلل الأجواء العامة التي أرتكبت أثناءها الجريمة على كل المستويات.. وبدأ "كالن" يبحث ويحاول أن يجد رابطاً بين المناخ السياسى للعام الذى اغتيل فيه "راسبوتين" وهو عام احتدام الحرب العالمية الأولى.. وبين الجريمة.. وبعد أيام.. وأيام من التدقيق والتحليل وجد كالن أن الرابط الوحيد الممكن لذلك هو أن العاصمة الروسية "سان بطرسبرج" وقتها كانت هى المقصد الأول لجواسيس القوى العظمى من أجل مراقبة الأحداث عن قرب.. ومحاولة التأثير عليها.. وكان للمخابرات البريطانية قاعدة استخباراتية أساسية هناك كانت تعُتبر وقتها المركز الخارجى الرئيسي للمخابرات البريطانية في أوربا والبلقان ككل.. وكان من المستحيل أن يكون هذا المركز الاستخباراتي بكل هذه القوة.. والأهمية ويعتبر واحد من أكبر.. وأخطر.. وأهم أجهزة المخابرات في العالم وقتها دون أن يكون له موقف ما من شخص مثل "راسبوتين".. بل من المستحيل أن يكون غافلاً عن محاولة كتلك تُدبر هكذا لتصفيته..

شائعات :

وبالعودة مرة أخرى لقياسات الرأي العام التي أعقبت إغتيال "راسبوتين".. وما تردد من أقاويل بعدها.. تبين لـ "كالن" انتشار شائعات عديدة في روسيا وقتها تشير أن المخابرات البريطانية وراء الجريمة .

عودة لمذكرات القاتلين :

وهنا كان على "كالن" أن يعود ليبحث ثانيةً في مذكرات كل من الرجلين.. واكتشف أن "يوسوبوف" الذي توفي فيما بعد عام ١٩٦٧ قد ذكر في مذكّراته أن رجلاً إنجليزيًا غامضاً اسمه "أوسوالد راينر" ووصفه "يوسوبوف" بأنّه صديق التقاه في جامعة "أوكسفورد" كان متواجداً في مسرح الجريمة.. وجاء مصادفةً لزيارته وقت ارتكابها.. فهل يعقل أن يكون هذا هو الرجل الثالث!

إلي انجلترا :

وقرر"كالن"العودة إلى "انجلترا" ليبحث عن "أوسوالد راينر" هذا.. وبعد بحث لم يستغرق وقتاً طويلاً اكتشف "كالن" أن أحد أقرباء "أوسوالد راينر" هو "جوردن راينر" وكان بالنسبة للجميع شخصاً غامضاً.. بعيداً تماماً عن الناس لا يتكلّم مع أحد.. ولا يخالط أحداً.. حتى أنه كان كذلك مع أبناء عمومته أثناء تواجده في روسيا .. و فيما بعد تم الكشف عن عمله لصالح الاستخبارات البريطانية.. لكن للأسف لقد أحرق أوراقه كلّها كي لا يبقى في سجلّات العائلة ما يشير إلى ما كان يفعله.. لقد كان رجلاً غامضاً وحذراً في كل شيء .

رؤية خاصة :

وأراد "كالن"أن يتأكد من حقيقة ما وصل إليه.. وبدأ يبحث عن وجود علاقة ما جمعت "أوسوالد راينر" وزملاءه بـ "راسبوتين" .. ووجد ضالته في شخص آخر اسمه " أندرو كوك" كان خبيراً في تاريخ الاستخبارات البريطانية.. وعندما التقاه وشرح له القضية.. وما يبحث عنه بين خفاياها.. قال له كوك :

هناك رؤية خاصة لذلك يقتنع هو بها تماماً.. فالمؤكد أن هؤلاء كانوا مهتمّين بأمر "راسبوتين" .. خاصة بعد أن لاحظوا تأثيره الكبير على القيصر وزوجته.. ودوره الكبير في اتخاذ القرارات الروسية.. وأن وثائق محطة الاستخبارات البريطانية في

"بطرسبرج" كانت تشير إلى "راسبوتين" في تقاريرها بعبارة "القوى السوداء" كما كان يطلق عليه أعضاء "الدوما" وقتها.. وكان أحد أهمّ عملاء القاعدة الاستخباراتية في روسيا آنذاك شخصاً اسمه "جون سكايل" كان على صلة وثيقة بالقيصر وعائلته.. وكذلك بالعديد من أبناء الطبقة العليا في المجتمع الروسي .. خاصةً على المستويين الحكومي.. والدبلوماسي.. وذكر أنه توفي عام ١٩٤٧ لكن له ابنة لا تزال حيّة يبلغ عمرها تسعين عاماً وهي تعيش الآن في "سكوتلاندا" .. ولابد أنه كان لديه علم تام بالجريمة وملابساتها المعلنة.. وغير المعلنة.. ولابد أنه ترك في أوراقه.. ومذكراته ما يتعلق بها.. أو قد يشير لعلاقةٍ ما جمعته "براسبوتين" وقتها.

إلى اسكتلندا :

وكان قرار (كالن) السفر على الفور إلى اسكتلندا حيث تعيش ابنة "سكايلز" لعله يجد لديها ما يساعده على كشف بعض من غموض الجريمة.. وكان يمني نفسه بأنها ربما مازالت تحتفظ ببعض أوراق.. أو وثائق ومذكرات خاصة بأبيها تعود إلى أيام عمله في الاستخبارات أو ربما تتذكّر هي أى شيء عن الموضوع .

ابنته تتحدث :

قالت ابنة "سكايلز" التي كانت تدعى "موريال" إن أبيها قد ذهب إلى "روسيا" وتعلّم هناك الروسية.. لكنها رجحت أن أبيها في هذه الفترة لم يكن قد بدأ عمله بعد مع المخابرات البريطانية التي بدأت علاقته بها بعد أن أصبح على علاقة طيبة بالقيصر.. وكذلك بأبناء الطبقة العليا في المجتمع الروسي .. من حكوميين.. ودبلوماسيين.. وقالت: إن الأمر بدا بالنسبة لها وللعائلة جميعها من خلال أحاديثه معهم أنه كما وإن كان يسكن مع الأسرة المالكة في قصر الحكم.. فقد كان يعرف الجميع جيّداً.

نذير الشر :

وعن شعور أبيها تجاه "راسبوتين" قالت ابنة "سكايلز" إن والدها كان يردد دائماً أنّه لم يعرف طيلة عمره أحداً يحمل كل هذا القدر من الشر مثل هذا الرجل.. فحيثما كان يتواجد راسبوتين.. كان يتواجد الشر.. وأكدت علمها بأن أبيها كان من بين الذين دبّروا وخططوا لقتل "راسبوتين".. بينما لم يكن متواجداً في مسرح الجريمة وقت حدوثها لأنه كان بصحبة القيصر في مكان آخر لم تسعفها الذاكرة لتحديده..

يقين بلا دليل :

بهذا الاعتراف تيقن (كالن) من أن المخابرات البريطانية كان لها دور ما في قتل "راسبوتين".. لكن لماذا ؟؟ كان عليه أن يبحث عن الأسباب !! .. وما هي مصلحة الإنجليز في ذلك؟

حجر عثرة :

أخذ "كالن" يقلب الموضوع على كل جوانبه حتى وصل لقناعة منطقية مفادها أن السبب بلا شك كان مرتبطاً بسياسة بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.. حيث كانت الحكومة الإنجليزية على يقين تامّ بأن "راسبوتين" بقوة تأثيره الشديدة على القيصر الذي كان يأخذ برأيه وبنصائحه وينفّذها بحماس شديد أصبح يمثل حجر عثرة في طريق تسييرها للأمور بالشكل الذي يخدم مصالحها.. فقد كان القيصر في ذلك التوقيت يقود جيوشه على الجبهة الشرقية في "سان بطرسبرج" وكانت الإمبراطورة تتولى زمام الأمور في الداخل بدلاً منه.. واستفاد "راسبوتين" من الوضع.. فضغط عليها لإقناع القيصر بانسحاب روسيا من الحرب.. وعقد اتفاق سلام منفرد كان لا يعني سوى أمر واحد بالنسبة لبريطانيا وفرنسا وباقي دول الحلفاء وهو أن ألمانيا سوف تملك القدرة على توجيه ضربة قوية بنقل جنودها

من الجبهة الشرقية إلى الجبهة الغربية.. وبناءً عليه لو نجح مخطط "راسبوتين" لكان حرّر ثلاثمائة وخمسين ألف جندي ألماني كانت مهمتهم الأولى الحرب ضد روسيا.. وهو بالنسبة إلى بريطانيا أمر يؤدي بها إلى كارثةّ خطيرة.. فلم يكن أمام المخابرات البريطانية سوى حل وحيد وهو التخلص من "راسبوتين" ..

سري للغاية :

ومن بين الأوراق ظهرت وثيقة غاية في الأهمية تحمل دليلاً جديداً في هذا الشأن.. الوثيقة عبارة عن مذكرة تحمل ختم "سريّ للغاية" ويعود تاريخها إلى عام ١٩١٦.. ومكتوبة بخط يد أحد رجال الاستخبارات البريطانية في "سان بطرسبرج" وهو "جون سكايل" تقول الوثيقة بالنص :

(على الرغم من عدم سير الأمور وفق المخطط إلاّ أن هدفنا تحقق بنجاح.. تلقى الجميع خبر موت "القوى السوداء" بسرور.. راينر يتابع الأمر وسوف يزوّدكم بملخّص عند عودتكم ..)

كانت تلك الوثيقة وما تحتويه بمثابة إثبات دامغ على تورّط الإنجليز في تدبير قتل "راسبوتين" .. وتلقيهم الخبر بسرور شديد.. ولم يعد هناك مجال للشك أن "أوسوالد راينر" كان من بين رجال الاستخبارات الذين علموا بالجريمة.. بل وكان متورّطاً فيها.

في فندق أستوريا :

كان "ريتشارد كالن" يتجوّل في بهو فندق "أستوريا" المركز السابق للاستخبارات البريطانية في "سان بطرسبرج" وقد أصبح علي يقين كامل بأن هذا المكان هو المكان الذي تم التخطيط فيه بموافقة رسمية من المخابرات البريطانية.. وفي ركنٍ ما من أركانه وضع الإنجليز خطّتهم لقتل "راسبوتين" عن طريق "أوسوالد راينر" .. و"جون سكايل" وهو ضابط المتابعة المسئول عنه.. كانت المعلومات المتوفرة

لدى المحقق البريطاني تقول إن: "جون سكايل" كان موجوداً ليلة الجريمة خارج المدينة.. بينما كان "راينر" حاضراً ليلتها في هذا المكان ليتأكد بنفسه من القضاء على "راسبوتين".

أسرار الساعات الأخيرة :

بعد التأكد من كل هذه الأدلّة.. أصبح هدف "كالن" الآن هو الكشف عمّا جرى من أحداث في ساعات "راسبوتين" الأخيرة..

وبدأ "كالن" من فرضية ارتيابه وشكه في صحة بعض ما ورد في مذكرات الأمير "يوسوبوف".. وتجسدت شكوكه على النحو التالي :

صعد الأمير "يوسوبوف" إلى الغرفة الموجودة بالطابق الأعلى من القصر والتي كان يتواجد بها باقي مجموعة المتآمرين.. وأخذ يحشو مسدسه الخاص بالرصاص.. ثم هبط الدرج ثانية إلى حيث كان يتواجد "راسبوتين" بالطابق الأسفل(1).. ليعاجله بطلقة الرصاص الأولى التي اخترقت معدة "راسبوتين" واستقرت في كبده مسبّبة له تهتك شديد.. أمّا الرصاصة الثانية فقد أطلقت بحسب ما أكده الطب الشرعي وقتها عام ١٩١٦ من الخلف فاستقرت بالكلية اليسرى .. بما يعني أنه كانت إصابة مباشرة ومن مسافة قصيرة.. وبحسب الرواية الأولى فإن "بورويكافيتش" هو من أطلق الرصاصة الثانية عن بُعد.. لكن النتائج السابقة التي يؤكدها خبراء الطب الشرعي تقول: إن مثل هذه الإصابة تأتي عندما تطلق الرصاصة من مكان قريب.. وأنّها تلت الرصاصة الأولى بسرعة مما يعني أنّ مطلقها وهو "بورويكافتش" الذى قام بتصويبها إلى جسد "راسبوتين" في القبو.. وليس في الحديقة كما قيل.. إن كلا الرصاصتين لاشك أنهما كان من المفترض أن تقتلا "راسبوتين" في غضون عشرة أو عشرين دقيقة على الأكثر.. كما لابدّ من أن صدمة تلقّي رصاصتين متتابعتين بهذا الشكل كانت لتسقطه مباشرةً على الأرض.. وبحسب الرواية المزعومة.. فإن "راسبوتين" جرى إلي الحديقة محاولاً الهرب وهو يترنح من تأثير الضربتين .. لكن الصور الشرعية التي أخذتها الشرطة في تلك الأيام تشير إلى آثار سقوط للدم من الباب.. وعبر ممر طويل..

(١) وليس بالقبو (البدروم) المذكور فى أكثر الروايات.

والمتوقع أنهم حملوا جثة "راسبوتين" من داخل القصر إلى الحديقة بعد أن قاموا بلفّها بقطعة قماش كبيرة.. وجرّوها إلى الخارج معتقدين أنه مات.. ثم حملوه عبر مدخل الحديقة حيث كانت هناك إحدى السيارات التي أعدوها لذلك تنتظر واقّفة وجاهزة لنقله عند نهر "نيفكا".. كانوا يتوهمون أنه قد مات.. لكنه كان مازال حيّاً.. وينزف بقوة من آثار الجرحين.. وعندما وصلوا إلى البوابة أحسوا بطريقة.. أو بأخرى أنّه ما زال حيّا.. في تلك اللحظة.. وصل رجل يحمل مسدساً مختلفاً عن الأوّلين وأطلق النارعليه فأرداه قتيلاً.. يعتقد كالن أن "أوسوالد راينر" رجل الاستخبارات البريطانية كان ذلك الرجل الثالث الذي قتل"راسبوتين".. كما يعتقد أن بركة الدم الواضحة في إحدى الصور تدلّ على المكان الذي أطلق فيه "راينر" النار على رأسه ليتأكد من موته نهائيّاً.

الدافع الحقيقي :

وعند التساؤل عن الدافع الذي يجعل المخابرات البريطانية تلهث هكذا وراء تصفية "راسبوتين".. تصبح الإجابة المنطقية من قراءة الأحداث المعاصرة آنذاك وتحليلها كالتالي :

أثناء الحرب العالمية الأولي.. قيل أن راسبوتين استطاع إقناع القيصر لما له من قدرة خاصة في التأثير عليه بالتوصل إلى شبه اتفاق مبدئي مع ألمانيا ينهي حالة الحرب القائمة بين الألمان والروس آنذاك.. مما يعني انضمام أكثر من ثلاثمائة وخمسين ألفاً من القوات الألمانية كانوا على خط المواجهة بين البلدين لباقي الجبهات التي تحارب فيها ألمانيا وبخاصة الجبهة البريطانية.. مما يقود بريطانيا لهزيمة محققة على يد الألمان.. فاستطاعت بريطانيا بما تمتلكه من شبكة تجسس خارقة.. أولاً تشويه صورة "راسبوتين" بشكل قوي لخلق حالة من الرأي العام المضادة له خاصةً بين الطبقات العليا من المجتمع السياسي في روسيا الذين كانوا يرون في "راسبوتين" الخطر الداهم والحقيقي الذي يعيق نفوذهم.. وسطوتهم.. ومشاركتهم في صنع القرار السياسي في بلدهم.

فعملوا أولاً على الحيولة بينه وبين إقناع القيصر بالإنسحاب من الحرب.. وتهيأة الرأى العام الداخلى فى روسيا لعدم عقد أى اتفاقات سلام مع ألمانيا حتى يظل الجيش الألمانى مشتتاً.. وهو يحارب فى جهتين.. وتظل السيادة العسكرية للجيش الإنجليزى..

ومن ناحيةٍ آخرى دفع بعض النبلاء لاغتياله... والتخلص منه نهائياً.

الثورة البلشفية..

ونهاية الأسرة الحاكمة!!

الفصل السادس

الثورة البلشفية..

ونهاية الأسرة الحاكمة..!!

كانت نهاية "راسبوتين" علامة على بداية النهاية للقيصر "نيقولا" وزوجته الإمبراطورة "ألكساندرا" وكذلك حكم "آل روما نوف" بالكامل.. فبعد عشرة شهور من وفاة "راسبوتين" .. أطاحت الثورة الروسية التي اندلعت في اكتوبر عام ١٩١٧ بآخر جيل من سلالة "رومانوف".. بعد أن تنحي "نيقولا الثاني" عن الحكم لولي عهده أولاً.. ثم قام بتغيير القرار لصالح شقيقه.. وبعد مرور تسعة عشر شهراً على مقتل راسبوتين.. أعدم القيصر وعائلته بأيدي الثوار البلشفيين في "إيكا ترنبرج".

ليس "راسبوتين":

لكن نخطئ كثيراً إذا اعتبرنا أن "راسبوتين" كان هو المحرك الرئيسي والوحيد للشعب الروسي للقيام بثورته.. أو كان السبب الأساسي لاندلاعها كما تروّج لذلك بعض الكتابات.. ولكننا فى نفس الوقت لا ننكر أهمية الدور الذى قام به بطريق غير مباشر فى التمهيد لقيام الثورة بالشكل الذى سنتحدث عنه لاحقاً.. لكن الحقيقة أنه لم يكن أكثر من مجرد مرآة انعكس فيها بقوة وتركيز شديدين فساد وديكتاتورية عهود بأكملها.. وبشاعة عصور متتالية من القهر.. والظلم عاشها أبناء روسيا على امتداد حكم هذه الأسرة.. ولا نستطيع حتى القول بأن تلك المرآة كانت مرآة معظمة تهول وتبالغ في ملامح الصورة.. بل كانت مرآة تعكس الأمور بصورها الحقيقية.. والمنطقية.. والتي كان ما أشد سوادها.

وبنظرة سريعة للأمور أثناء حكم "نيقولا الثاني" نتأكد من أن النهاية لهذه الأسرة.. علي يد هذا القيصر بالتحديد كانت لاشك قادمة.. قادمة.. فعندما تولى

"نيقولا الثاني" مقاليد الحكم جمع سفراء الدول الأجنبية في روسيا.. واستضافهم في قصر الشتاء وخطب فيهم قائلاً : (أنه لا يؤمن بالحكم الديمقراطي.. وسوف يتمسك بكل حقوقه التي ورثها عن أبائه).. وبدا لجميع الحضور من وقتها أن هذا القيصر المعروف عنه استهتاره الشديد.. وانفصاله التام عما يجري حوله.. وعما يعانيه المواطنون الروسيون من قمع وإذلال.. سيسير على نفس درب من سبقوه متمسكاً بكل سياسات والده الاستبدادية.. وسيصبح هو كلمة الفصل.. وستار النهاية في تاريخ روسيا القيصرية.

وبعد ذلك.. وعندما كانت ترتفع الأصوات لتطالبه بإقامة حياة ديمقراطية في روسيا كان يرد بأن الحكم الدستوري.. والديمقراطية لم يخُلقا للشعب الروسي.. لأن أكثر أهله أميون.. وغير متعلمين..

كما أن موت "راسبوتين" لم يطفىء نيران الغضب الشعبي ـ كما سنرى ـ تجاه السلطة القيصرية.. ولو كان "راسبوتين" هو السبب المباشر لفساد الحال في روسيا لكان قد تغير الوضع عقب مصرعه.. أو حتى على الأقل كانت قد لاحت في الأفق أية بوادر تشير لذلك.. لكن واقع الأحداث يقول: إنه في خلال الفترة ما بين موت "راسبوتين".. ثم تنازل "نيقولا الثاني" وبعدها شقيقه عن العرش في فبراير من العام نفسه.. وبعدها قيام الثورة البلشفية في أكتوبر من نفس العام أيضاً.. زاد التدهور الاقتصادي في روسيا بسبب استمرار حالة الحرب.. وزادت معها حركات المعارضة وزادت أعداد الثائرين بشكل كبير.

مظاهرات.. واغتيالات :

وكان قبلها.. وبدءاً من عام ١٩٠٠ قد بدأ نشاط الحركات الثورية والإرهابية يتصاعد بشكل غير مسبوق في روسيا.. فقد اغتيل ١٩٠٢ وزير الداخلية "سيبياجين".. وفي عام ١٩٠٤ اغتيل "بيلفيه" وزير البلاط.. وفي عام ١٩٠٥ اغتيل عم القيصر نفسه الدوق الأكبر "سبيرجي".. وفي عام ١٩١١ اغتيل

"ستولبين".. رئيس الوزراء.. ورجل الدولة القوي الذي حاول كثيراً التصدي لنفوذ.. وهيمنة "راسبوتين" دون جدوي.. والغريب أنه قتل في دار أوبرا (كييف) وهو جالس بجوار القيصر.. والقيصرة.. يتابعون أحد عروض الأوبرا.. ونقل إلى المستشفى.. حيث ظل ثلاثة أيام بين الحياة والموت دون أن يسأل عنه أو يزوره القيصر.. حتى توفي بعدها.. ولما ذهب القيصر.. والقيصرة لتقديم واجب العزاء لأسرة رئيس الوزراء في الرجل الذي وصف بأنه أكبر وزير مصلح عرفته روسيا.. رفضت زوجته استقبالهم.. أو الخروج إليهم [1]...

مأساة الأحد الدامي :

كما توالت الإضرابات العمالية.. فأضرب عمال مصانع بوتيلوف الضخمة في "بطرسبرج".. وقال الأب جابون: إنه سيحل المشاكل المعلقة بالتحدث مباشرة مع القيصر.. وفي يوم الأحد ٢٢ كانون الثاني نظم مسيرة سلمية كبيرة.. اشترك فيها آلاف العمال مصحوبين بنسائهم وأطفالهم.. واتجهت المسيرة يتقدمهم القس إلى أبواب قصر الشتاء.. وبحسب ما تناولته الصحف الروسية آنذاك كانت المسيرة منظمة ومنضبطة تماماً.. وكان المشتركون فيها يحملون لافتات كتب عليها عبارات الولاء للقيصر.. وعلى أبواب القصر.. وبدون أدنى إنذار.. انهالت طلقات الرصاص من البنادق والرشاشات حاصدة العمال.. وناشرة الفوضى في المسيرة.. وقُتل المئات من العمال مع عائلاتهم.. وتحولت الساحة أمام القصر إلى فوضي موجعة. ومنذ ذلك اليوم يعرف هذا التاريخ (٢٢ كانون الثاني) بيوم الأحد الدامي.. وتبين أن القيصر "نيقولا الثاني" لم يكن في القصر.. ولا حتى في المدينة في هذا اليوم.. واتضح أيضاً أن ضابطا من ضباط الحرس هو الذي أصدر أمر إطلاق النار إلي الجنود.. ومن المحتمل أن هذا الضابط كان علي علاقة ببعض قادة الثورة وأنهم دفعوه ليتصرف علي هذا النحو لاستثارة الجماهير ضد

---

(١) اتضح فيما بعد أن القاتل كان محاميا يهوديا يدعي موردخاي بورجوف وسنتحدث لاحقاً عن العلاقة شديدة الغموض بين اليهود والثورة البلشفية...

القيصر.. والحكومة.. وكان هذا العمل بمثابة الشرارة التي أشعلت نيران الثورة الشاملة في كل مكان.. بعد أن قتل في هذا اليوم قرابة أربعة آلاف عامل في هذه المذبحة البشعة.

انقلاب عمالي :

ولم تنته الثورة.. فبعد عدة أسابيع فقط استولي يهودي اسمه "بارفوس" علي السلطة في إدارة ثورية جديدة.. ودعا إلى إضراب عام في "بطرسبرج".. فاستجاب لندائه ٩٠ ألف عامل.. وفي اليوم التالي أضرب ١٥٠ ألف عامل آخرون في موسكو.. فاضطرت بعض الوحدات وبعض الضباط الذين كانوا ما يزالون موالين للقيصر.. للذهاب للقصر واستعادوا السلطة بأعجوبة.. وهكذا وضعوا حداً لهذه الثورة..

رضوخ القيصر :

ورضخ القيصر في النهاية رضوخاً سياسياً كان المقصود منه امتصاص غضب الجماهير.. ووافق على إقامة دستور جديد.. وتكفل بإطلاق حرية الصحافة والتظاهر.. كما أعلن عن قيام المجلس النيابي (الدوما).. لكنه ما لبث أن تراجع عن كل ذلك بعد عام عندما وعين "أستولبين" رئيساً للوزراء..

الحياة الحزبية في روسيا :

وكان في روسيا آنذاك حزبان يتزعمان الجماهير.. الحزب الأول هو الحزب الديمقراطي الاشتراكي بقيادة "بليخانوف".. والذي كان يضم البلشفيين.. ومن هذا الحزب خرج منشقاً فيما بعد لينين[1] الذي كان القيصر قد نفاه إلى باريس فيما مضى

(١) اشترك ألكسندر أوليانوف في محاولات اغتيال القيصر ألكسندر الثالث.. وقد فشلت تلك المحاولة، وقبض عليه وحوكم وحكم عليه بالموت.. وكان هذا هو السبب في أن شقيقه فلاديمير نذر نفسه للقضية الثورية، ولمع نجمه ، حتى أصبح رئيساً للحزب البلشفي، واتخذ لنفسه اسم "لينين".. وقد أصبح فيما بعد الحاكم المطلق الأول لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.. ولمع نجم لينين كواحد من المثقفين المفكرين، وارتبط بقادة الحزب الثوري حين كان في أوائل العقد الثالث من عمره.. وفي عام ١٨٩٥ سافر لينين إلي سويسرا . وكان عمره ٢٥ سنة . وهناك شارك مع مجموعة من اليهود، وألفوا جمعية ماركسية على نطاق عالميّ، أسموها "جماعة تحرير العمال".

ليضم وراءه الشيوعيين في حزبٍ مستقل.. والحزب الثاني كان هو الحزب الاشتراكي الثوري الذي كان يضم غلاة الفوضويين.. والإرهابيين.. ثم ظهر فيما بعد حزبا الكاديت.. والأكتوبريين بعد إجراء الانتخابات الأولى لمجلس الدوما.. وأخذت كل تلك الأحزاب تضم صوتها لبعضها البعض من أجل المطالبة بالمزيد من الإصلاحات السياسية.. وكان في مقدمة مطالبهم أيضاً الإسراع في تمليك الأراضي للفلاحين.. والإفراج عن المعتقلين السياسيين.. وفرض مراقبة الدوما على كافة أعمال الحكومة والوزارات.. وراح أفراد الحزب الاشتراكي يلهبون حماس الشعب ويحثونهم على الثورة ضد السلطة..

وفي يوليو من نفس عام تشكيله أعلن "ستولبين" حل مجلس الدوما.. وإجراء انتخابات جديدة.. ليجتمع المجلس في نهاية ذلك العام بتشكيله الجديد.. ولم يعجب القيصر ممارسات الأعضاء الجدد.. فأصدر أوامره باعتقال ثلاثين نائباً منهم.. ونفاهم إلى "سيبريا".. كما حدد إقامة عدد آخر من النواب في منازلهم وكأنهم رهن الاعتقال.. لكن بعد أقل من عام عاد "ستولبين" ليحل المجلس.. ويعلن إقامة انتخابات جديدة اقتصر الترشيح فيها على أبناء الطبقة العليا من المجتمع الروسي فقط .

الوضع في روسيا :

وبقى الوضع هكذا أغلب فترة حكم آخر القياصرة.. ما بين شدٍ.. وجذب.. وكأن روسيا جميعها في حالة مخاض حادة.. وولادة متعثرة.. ومن رحم الطبقة الوسطى ولدتَ بوادر الثورة البلشفية.. وانتفض من بين ظهر تلك الطبقة أصوات المثقفين من أبنائها يطالبون بإقامة حياة ديمقراطية سليمة.. وشاملة.. وحصروا مطالبهم في الآتي :

١- وضع دستور جديد للبلاد.

٢- تشكيل مجلس نيابي منتخب.

٣- حرية الصحافة.

لكن أصرّ القيصر "ألكسندر الثالث" والد "نيقولا الثاني".. وهكذا رئيس وزرائه

آنذاك (ويت) على تجاهل تلك المطالب.. وعلى مدار السنوات الأخيرة من حكمه.. وطوال فترة حكم ابنه "نيقولا" .. نمّت.. وترعرعت بذور الثورة.. التى كان السير الطبيعى للأمور يؤكد أنها لن تتحقق قبل عدة سنوات طويلة قادمة.. باعتراف قادتها أنفسهم فيما بعد.. وحتى يتسنى لهم التواصل مع عموم الجماهير بشكل أكبر.. وتكوين قاعدة شعبية وجماهيرية مناسبة.. لكن تسارع الإيقاع وكراهية الشعب للقيصر والأسرة الحاكمة بسبب تصرفاتهم وارتماءهم فى أحضان راسبوتين بهذا الشكل خلق أرضية مناسبة تماماً للتعجيل بقيام الثورة التى كانت تنتظر المناخ.. والطقس المناسبين للإنبات.. والحصاد.. وجاء عام ١٩١٦.. وفترة حكم "نيقولا" .. ليتأكد جميع قادة الثورة أنه لا مناخ.. ولا فرصة أفضل من ذلك لتؤتي بذورهم ثمارها المرجوة .. بعد أن أصبح المجتمع الروسي يعيش اسوأ حالاته على كل المستويات.. فقد كان باختصار عبارة عن تكتل بشري من الحرمان والكوارث والعديد من المآسي التي عانى منها أبناء روسيا على مدار سنوات طويلة.. كنِتاج طبيعي للعديد من الممارسات غير الإنسانية للنظام الحاكم.. الذي سلب من الشعب الروسي الذي كان تعداده وقتها قد تجاوز حاجز الـ ١٣٥ مليون مواطن أبسط مقومات الحياة المدنية.. فقد ارتفع الإحساس بالعجز.. والفساد.. بعد أن أصبح المواطن الروسي لا يجد طعامه بالشكل الكافي.. وكانت أكثر المواد الغذائية.. والضرورية لتسيير الحياة في نقص شديد.. خاصةً القمح.. والفحم.. والخشب.. وكان الصنفان الأخيران هما من أهم ضرورات الحياة في بلدٍ درجة الحرارة فيه تصل أحياناً.. وفي كثير من أوقات العام إلي ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر.. انخفض معدل الأجور بشكل عام.. ودمرت معظم البنية الأساسية.. والمؤسسات الخدمية.. وعلى أثر كل ذلك شاع الفقر والجوع والأوبئة.. وعمت الإضرابات جميع المنشآت.. وأخذ المتظاهرون يتحولون إلى العنف.. والسرقة.. والاغتصاب.. وفي ٨ مارس أمر القيصر جنود حامية "بترو جراد" أن يطلقوا النارعلي المتظاهرين.. لكن الجنود رفضوا إطلاق النار على بني وطنهم.. حتى لاتتكرر مذبحة "الأحد الدامي" ..

كل تلك الأحداث كانت سبباً في حصد أرواح آلاف من البشر ربما أكثر من خسائر

الحرب نفسها.. التي كانت دائرة منذ أكثر من عامين على امتداد أكثر ألف ميل من الشمال إلى الجنوب في الجهة الشرقية حيث كان الجيش الروسي يخوض معارك الحرب العالمية الأولى ويقاتل الألمان في نزاع مرير التهم مئات الآلاف.. وعندما جاءت نهاية عام ١٩١٦ كانت روسيا قد فقدتْ أكثر من ثمانية ملايين شاب ما بين قتيل.. وجريح من أبنائها على جبهات القتال والحروب المتتالية.. وذلك من أصل خمسة عشر مليون شاب ارتدوا ملابس الحرب.. وودعوا أهليهم.. وانخرطوا في صفوف الجيش.. وتساءلت الجماهير في مظاهراتها.. أين الخبز والسلام؟! في حين راهنت كل القوى السياسية المعارضة للقيصر على ذلك الشعار.

المطرقة والسندان :

أي أن روسيا في هذا التوقيت.. كانت بين المطرقة.. والسندان.. تتلظى داخلياً.. وخارجياً.. بنيران لا طاقة لها بمجابهتها.. فكانت تلك الأحداث كلها بمثابة الرحم الذي خرجت منها الثورة البلشفية.. أما "راسبوتين" فلم يكن أكثر من حقنة تحمئة للطلق أخذتها روسيا لتنهي حالة المخاض الطويلة التي عاشتها قبل أن تلد الثورة ..

بداية النهاية :

وأصدر القيصر قراره بحلّ مجلس الدوما.. لكن أعضاء المجلس رفضوا تنفيذ القرار.. في إشارة واضحة لمدى الضعف الذي كان قد وصل إليه "نيقولا الثاني" من عدم سيطرته على البلاد.. وانتخبوا من بين أعضائهم حكومة جديدة برئاسة "ليفوف".. وفي اليوم الثاني مباشرةً ١٢ مارس اجتمع أعضاء مجلس الدوما مع رجال السوفييت في قصر (توريد) لمحاولة اتخاذ قرار مناسب ينقذ البلاد من الهاوية التي كانت على مشارفها.. وبعدها بيومين في ١٤ مارس ذهب وفد منهم ضم بعض قادة وضباط الجيش إلي القيصر ونصحوه بالتنحي حفاظاً علي القيصرية.. وبقاء آل روما نوف في الحكم.. واستجاب لهم "نيقولا الثاني" على اعتبار أنه سيحتفظ بالحكم لإبنه أليكس .. ثم عدل عن قراره لظروف إبنه المرضية.. ووقع

قرار التنحي لصالح شقيقه مايكل.. وعندما حضر "مايكل" للعاصمة التي أصبح أسمها "بترو جراد" لتسلم الحكم.. صارحه (كبرنسكي) زعيم الحزب الاشتراكي وعضو مجلس الدوما الذي تم إسناد وزارة العدل له ثم رئاسة الوزارة فيما بعد أن الحكومة الجديدة لا تضمن سلامته.. وبدلاً من أن يتسلم "مايكل" مقاليد الحكم.. أقنعه وزير العدل المكلف بتسليمه إياه بأن يوقع هو الآخر قراره بالتنحي عن الحكم.. وانتهى بذلك تماماً حكم "آل روما نوف".. من صفحات التاريخ الروسي.. تلك الأسرة التي أسسها "مايكل روما نوف" حاكم دوقية موسكو عام ١٦١٣[١]..

كربنسكي.. ومابعد الثورة :

بعد أن تم الإطاحة بالحكم القيصري وصعد أولاً تحالف الاشتراكيين الثوريين والبلاشفة بقيادة الجنرال "كربنسكي" إلى السلطة.. بدلاً من أن تسعى تلك الحكومة إلى تحقيق السلام وتوفير الخير لأبناء روسيا.. وباسم الدفاع عن الوطن ومقدسات الأمة الروسية.. سعت إلى الاستمرار بسياسة الحرب التي كانت هى أحد أهم الأسباب التي أدت بروسيا إلى ما وصلت إليه من دمار.. وبقيت تتمسك بالأحلاف العسكرية.. وخابت مجدداً آمال الملايين من الجنود الروس الرابضين في جبهات القتال تحت رحمة المدافع وشبح الموت والمرض والجوع.. في العودة لأوطانهم وأسرهم وإن كان له محاولاته الإصلاحية على الصعيد الداخلى.

عودة الشيوعيين المنفيين :

فبعد أن وبدأت الشيوعية تعرف طريقها من جديد إلى روسيا بعد سقوط دولة القياصرة.. وبعد تنازل القيصرعن العرش وتولى حكومة (كبرنسكى) التي كانت بمثابة حكومة انتقالية مقاليد الحكم.. أراد "كبرنسكى" أن يبعث روحاً معنوية جديدة في نفوس الضباط والجنود ليتمكنوا من حماية الوطن المهدد في الحرب..

(١) أنظر النبذة التاريخية عن آل روما نوف وأسماء وسجل كل حكامهم بفصل الملحقات آخر الكتاب.

وأن يعمل على إعادة الاستقرار الداخلي وبث الطمأنينة بين أفراد الشعب.. واتسمت سياسته بوجه عام بالديمقراطية فأطلق الحريات وفتح السجون وعمل على تدعيم اقتصاد البلاد وتوفير الغذاء للشعب ورحب بعودة المنفيين إلى البلاد.. ويبدو أن الأخيرة كانت هى غلطته الحقيقية.. فلم يكن يدري هو وحكومته التي لم تستمر طويلاً أن هناك مؤامرات خارجية تدبر فى الخفاء للإطاحة به . .ووجدها الألمان فرصة سانحة للإطاحة بحكومة "كيرنسكى" الموالية للحلفاء لكسب روسيا إلى صفهم والاكتفاء بمواجهة القوتين الكبيرتين المتمثلتين وقتها في انجلترا وفرنسا.. ووجد الألمان أن الطريق لتحقيق ذلك يكون بعودة الشيوعية إلى روسيا وتدعيم الحزب الشيوعي [1] للوقوف ضد الحزب الاشتراكي الذي رأسه "كيرنسكى".. كما أدرك الألمان أن "لينين" الذي كان منفياً في سويسرا وقتها هو الرجل المناسب لتحقيق أهدافهم فاتصلوا به وتآمروا معه لقلب نظام الحكم الجديد وتمكينه من فرض السيادة لحزبه الشيوعي مقابل وقف الحرب والتصالح مع الألمان .

عودة" لينين" :

وجهّز الألمان لـ "لينين" قطاراً مصفحاً خاصاً للعودة إلى وطنه.. وزودوه بصناديق ممتلئة بالذهب والمنشورات المنادية بوقف الحرب والدعوة إلى السلام.. كما عاد أغلب الشيوعيين المنفيين إلى وطنهم روسيا.. وعلى رأسهم "تروتسكى".. ودخلت البلاد مرحلة جديدة من الاضطرابات بعدما نجح "لينين" في كسب تأييد الشعب له لوقف الحرب وإعلان الهدنة.. والثورة ضد الحكومة الداعمة للحرب ومناصرة الحلفاء.. والتي أصرت على الاستمرار بالحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا.. كما أن إصلاحاتها.. بعد الإطاحة بحكم "آل رومانوف".. تركزت على الجوانب الديمقراطية والدستورية.. واستطاع "لينين".. "وتروتسكى".. ورفاقهما من الشيوعيين أن يقلبوا الأمور رأساً على عقب بالخطب والمنشورات التي

(١) عـرف الحزب بدايةً باسم "حزب العمل الديمقراطي الروسي"، وفي آذار ١٩١٨ غير البلاشقة اسمه إلى "الحزب الشيوعي" ونقلوا مقرّهم إلي موسكو.

ملأت روسيا ونادت بوقف الحرب.. ولقيت دعوتهم تلك صدى واسعاً بين معظم الجماهير التي باتت تحلم بالسلام والخلاص من ويلات الحروب التي خرّبت بلادهم وقتلت أبناءهم وعرضتهم للمجاعات.. ولذا استطاع "لينيين" ورفاقه كسب تأييد غالبية الشعب في وقت قصير.. وانتشرت المظاهرات والاحتجاجات مرةً ثانية ضد الحكومة.. وسادت البلاد حالة كبيرة من الفوضى.. وفى أكتوبر سنة ١٩١٧ قام الشعب بثورة عارمة مطالباً بوقف الحرب واستبعاد "كيرنسكى".. وإسقاط حكومته.. وكل المؤيدين لاستمرار الحرب.. ولم يستطع "كيرنسكى" التصدي لتلك الثورة.. واضطر للتخلي عن منصبه للزعيم الجديد "لينين"[1] وبذلك تخلصت روسيا تماما مما تبقى من عهد القياصرة..

توقيع معاهدة (برست لوتفسك):

كانت عودة "لينين" ومن بعده "تروتسكى" من المنفى إلى روسيا ودعوته إلى وقف الحرب وإعلان الهدنة.. وما تلاه من كسبه لتأييد الشعب.. ثم نجاح ثورة أكتوبر.. هى البداية الحقيقية للشيوعية في روسيا.. لقد وقف الشعب مع الثورة ليس إيماناً بمبادئها.. ولكن خلاصاً من الحرب التي طال أمدها.. والرغبة في العيش في سلام.. وقد نجح "لينين" في إعلان الهدنة وكسب رضاء الشعب والوفاء بالوعد الذي تعهد به للألمان حيث قام بعقد معاهدة للصلح سميت بمعاهدة (برست لوتفسك)..

---

(١) وبعدها بفترة قصيرة.. وتحديداً في ١٩١٨/٨/٣٠ قامت إحدى عضوات الاشتراكيين الثوريين.. واسمها فانيا كابلان.. بإطلاق ثلاث رصاصات على لينين وهو خارج من اجتماع جماهيري.. فاستقرت إحداها في يده.. وخرجت الأخرى من ملتقى فكه ورقبته.. وسقط مغشياً عليه.. وتعرض لنزيف داخلي ملأ رئتيه بالدماء.. وبعدما استيقظ خلال عملية نقله من الموقع.. رفض الذهاب إلى المستشفى.. وأصر على الذهاب إلى منزله.. وهناك رفض الأطباء إزالة الرصاصة من عنقه خوفاً على حياته.. وبقي يعاني من تلك الإصابة حتى مماته عام ١٩٢٤. واتضح فيما بعد أن تلك المرأة كانت ترتبط بعلاقة غامضة مع ضابط المخابرات البريطاني سيدني رايلي.. بل أنها كانت قبل كل ذلك من عائلة يهودية ..

الانقلاب السلمي :

وقد جاءت ثورة أكتوبر ١٩١٧ بمثابة انقلاب سلمي ضد الحكومة الجديدة.. التي كان العمال.. والفلاحون الروس يرون أنها لم تحقق كل برنامجها الذي سبق وأعلنت عنه.. وعاجزة عن تحقيق الباقي..

وفي اليوم التالي لثورة أكتوبر.. سنَّ مجلس السوفييت الأعلى الذي كان يشكل البلاشفة غالبية أعضائه (٣٩٠ عضواً من أصل ٦٥٠ عضواً) عدة قرارات أولها قرار السلام الذي يعُلن انسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى.. وقرار الأرض الذي يملك الأرض للفلاحين.. وقرارات أخرى لمصادرة البنوك وتأميم الصناعات الكبرى.. وعدم الاعتراف بالدين العام الخارجي الضخم.. ومصادرة أوقاف الكنيسة.. ورفع الأجور.. وتحديد ساعات العمل بثمان ساعات.. وهى قرارات كانت بمجموعها تمثل البرنامج الاشتراكي البلشفي للثورة.. وكانت موافقة البلاشفة على الملكية الصغيرة للفلاحين تنازلاً عقائدياً.. ولكنه تنازلٌ شكلّ أساس التحالف بين العمال والفلاحين الذي أنقذ الثورة.. في مجتمع كان الفلاحون أغلب سكانه.. وقد تم تكريس ذلك التحالف رمزياً بشعار "المنجل والمطرقة".

الثورة.. والقيصر :

لكن ماذا فعلت الثورة بالقيصر وأسرته؟.. في البداية وضعت الأسرة تحت التحفظ في قصر "تساركويه" بالعاصمة.. وعوملوا جميعاً معاملةً طيبة.. لكن قبل انقلاب يوليو ١٩١٧ البلشفي الفاشل نقلهم "كيرنسكي" إلي "توبوليسك" بسيبريا.. بدعوى إبعادهم عن الشيوعيين.. والفوضويين الذين كانوا يتهددون حياتهم.. وعوملوا في البداية معاملةً حسنة.. وسمح لهم بالتزاور.. والتريض.. والتجوال.. وغيرها من مظاهر الحياة العادية.. لكن عند سقوط حكومة "كيرنسكي".. وتولي حكومة "لينين" الشيوعية للسلطة.. أصدر "لينين" أوامره بوضعهم تحت حراسة جنود شيوعيين أخذوا يسيئون معاملتهم.. ويعملون على إهانتهم.. وفي إبريل عام ١٩١٨ تم نقلهم إلى منزل صغير منعزل في إيكا ترنبرج.. على سهول الأورال الشرقية.. وتفنن جنود حراستهم في إذلالهم على ما يبدو بأوامر خاصة من حكومتهم الشيوعية.. وفي يوليو من نفس العام.. نقلوا مرةً ثانيةً إلى منزل آخر أصغر وأحقر..

أحداث الليلة الأخيرة:

وفي منتصف ليلة السادس عشر من يوليو.. حضر بعض الجنود المسلحين من التابعين لجهاز الشرطة الذي شكله "لينين" تحت اسم « اللجنة الاستثنائية لمكافحة أعداء الثورة والتخريب » إلى المنزل.. وأخرجوا أفراد الأسرة وكان عددهم أحد عشر شخصاً.. هم القيصر وزوجته وابناؤه "إلكس" ولي العهد.. وبناته الثلاث "أولجا".. "وتاتيانا".. "وماري"[١].. وثلاثة من الخدم ممن بقوا معهم.. وطبيب العائلة المدعو "إيفجيني".. وأوقفوهم في طابور واحد أمام المنزل.. ثم أطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهم جميعاً.. وجرى تهشيم ملامحهم حتى لايتم التعرف عليهم.. ودُفنوا في مكان سرى.. بينما لم يذكر الإعلان الرسمي الصادر يوم ٢٠ يوليو ١٩١٨ عن رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس السوفييت عن عملية الإعدام سوى موت شخص واحد هو القيصر "نيقولا الثاني" دون أي ذكر للآخرين.. واكتفى بالقول إن: « رئاسة المجلس التنفيذي قررت.. بالاتفاق مع الإرادة الشعبية إعدام القيصر "نيكولا" المدان أمام الشعب بارتكاب عدد لا يحصى من الجرائم»

شائعات:

وفيما بعد تردد في الشارع الروسي أن مسؤولي تنفيذ حكم الإعدام بالقيصر وبعض البلاشفة من قادة الثورة.. قد أكدوا أن الامبراطورة وأبناءها بخير.. وأنهم موجودون في مكان آمن.. وأن هناك مفاوضات مع " برلين" لمبادلتهم ببعض أسرى الحرب من الروس.. لكن في المقابل دلت التحقيقات وجميع الشواهد فيما بعد أن أفراد العائلة قد أعدموا بالفعل.. وإن لم يتم العثور وقتها على جثثهم.. وساد الاعتقاد أنها ربما أحرقت أو أذيبت بماء النار .. وبسبب عدم التيقن من أية رواية خاصة بالمصير الحقيقي لـ "آل رومانوف" شاعت أساطير كثيرة بل وعمليات تزوير واحتيال.. حتى أعلن في التسعينيات من القرن الماضي.. وبعد جهود مضنية تكفل بها

---

(١) بقيت الأميرة الرابعة (أنستاسيا) لغز من ألغاز نهاية هذه الأسرة... وحيكت عنها العديد من القصص والحكايات.. حتى أن غموض نهايتها كان موضوع لأحد أفلام هوليود.

أكثر من فريق غربي وروسي العثور علي مقبرة جماعية بالقرب من المنزل الذي تم إعدام الأسرة القيصرية فيه.. وتم التأكد بعد فحص الجثث بدقة شديدة.. وبتحليل الحمض النووي (D.N.A) بواسطة فحوص معملية خاصة أجريت في بريطانيا.. أن المقبرة تضم رفات القيصر وزوجته وطفله ولى العهد ومرافقيه وجثتى اثنين فقط من بناته.. وبتاريخ ١٧ يوليو ١٩٩٨.. أي بعد ثمانين عاماً بالتمام والكمال على المذبحة جرى نقل رفاتهم إلى المقبرة التقليدية لقياصرة روسيا من سلالتهم في المقبرة الملكية بقلعة "بيتر وبول" "بسان بطرسبورج".. بحضور الرئيس الروسي آنذاك "بوريس يلتسين" الذي افتتح حفل التأبين بالقول: «هذا يوم تاريخي بالنسبة لروسيا.. وعندما نضع هذه الرفاة في الأرض إنما نكفر عن خطايا أجدادنا».

إعدام وحش:

وقد كتب (تروتسكي) في أوراقه التي تحتفظ بها جامعة هارفارد الأمريكية أن "لينين" هو الذي أمر شخصياً بقتل الأسرة.. كما ذكر أحد شهود العيان أن أفراد الأسرة تقبلوا جميعاً مصيرهم بشجاعة نادرة.. وأن رصاصات كثيرة من التى صوبت إلي نساء الأسرة قد انحرفت وحادت عن مسارها عندما اصطدمت بالجواهر التي تم دسها بين طبقات ملابسهن بنية تهريبها عندما يتمكنون من مغادرة روسيا سواءً بالهرب.. أو النفي.. أو اللجوء السياسي.. مما أجبر الجنود علي أن يمعنوا فيهن قتلاً بسناكي بنادقهم..

مصير القيصرة الأم:

لكن ما هو مصير القيصرة الأم (داجمار) أو الامبراطورة "ماريا فيودروف"؟.. الثابت تاريخياً أنها تمكنت عقب اندلاع الثورة البلشفية من الهرب من روسيا.. حيث لجأت إلى بلدها الأصلي الدنمارك.. وعاشت هناك ما تبقى لها من عمر.. حتى توفيت عام ١٩٢٨.. وقد أعيد رفات الامبراطورة من هناك بعد موافقة ملكة الدنمارك "مارجريت الثانية" على طلب موسكو الخاص بذلك.. ليتم دفن الرفات في احتفال مهيب حضره ممثلون عن أسر أوربا المالكة.. وذلك تنفيذاً لوصية الامبراطورة الراحلة في المقبرة الملكية بقلعة بيتر وبول في سانت بطرسبرج.. بجوار زوجها وأولادها.

بين الشيوعية.. و"راسبوتين":

المقدمة السابقة فى نشأة ورسوخ أقدم الثورة البلشفية فى روسيا ليست من باب الاستطراد غير المبرَّر أو اتمام المعلومات ما فى غير سياقها على صفحات كتاب يتحدث عن "راسبوتين" ولكنه ضرورة أن نتفهمَّ نبذة سريعة عن تلك الثورة... لنحاول نبحث عن رابط ما.. بين اندلاعها وما أعقبه من انتشار الشيوعية بهذا الشكل الوبائي فيما بعد من جهة.. وراسبوتين وأثره.. من جانب آخر.. فالشيوعية عرفتها روسيا كحركة جماهيرية تقودها فئة المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى قبل صعود نجم "راسبوتين" بسنوات.. لكن كان أثرها محدوداً.. ولم تصل أحلام قادتها لحكم روسيا على الإطلاق.. لكن في سنوات قليلة انتهت بقيام الثورة البلشفية قطعت الشيوعية ما كان مقدراً لها ألا تحققه قبل مضي عقود عدة.. وبنظرة تحليلية للأمور ككل سنكتشف عاملاً مهماً للغاية وهو في رأينا الذي أدى لذلك.. أن "راسبوتين" رفع راية الغيبيات وأصبح في نظر الجميع رمزاً مجسداً للدين.. ولكنه رمز فاسد.. وبسلوكه المشين على هذا النحو فرّغ تماماً المجتمع الروسي من إيمانه بالدين الذي كان يمثله.. فأعرضوا تماماً عن الدين الذي خلق من مثل هذا الشخص أداة وصلت بهم لكل هذا القدر من الكبت.. والقهر.. والجوع.. والمرض.. بالشكل الذي جعل الشعب الروسي بمختلف طبقاته يكفر تماماً بكل ما يمثله هذا الراهب الزنديق.. وشهد المجتمع الروسي فى هذه الفترة أقل معدلاته التاريخية في زيارة وتردد أبنائه على الكنائس.. والبعد عن كل المظاهر.. والاحتفالات الدينية.. فمهد كل ذلك.. وخلق بطريق غير مباشرة أرضاً قوية.. ومناسبة تماماً لنثر بذورالشيوعية التي هي في الأساس عبارة عن مذهب فكري مادي بحت.. يقوم على الإلحاد ويرجع أساس كل شيء للمادة [1]. وكانت عقيدتهم تتمثل في إنكار وجود الله تعالى على اعتبار أن الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض المصادفة.. بلا خالق.. ولا

(١) ظهرت الشيوعية بشكلها المعاصر.. كحركة ثورية قوية في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز.. وتجسدت واقعاً عالمياً مفروضاً بدءاً من اللحظة التي اندلعت فيها الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ بتخطيط من اليهود.. الذين كانوا منتشرين وقتها بشكل كبير بين طبقات المجتمع الروسي بأعداد كبيرة.. وانتشرت الشيوعية بعد ذلك فى بلاد عديدة رافعة راياتها المخضبة بالدماء.. لتسوس الشعوب بالحديد والنار.. وكارل ماركس هو يهودي ألماني ولد.. وعاش بين عامي (١٨١٨ – ١٨٨٣) وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف مردخاي ماركس.. وكان كارل ماركس شخصاً ضعيف البصر.. متقلب المزاج.. حاقداً على المجتمع بشكل عام.. مادي النزعة.. (ومن

رب.. ويحاربون كل ما هوغيبى ويمت للدين بصلة.. ويعتبرونه وسيلة لتخدير الشعوب وخادماً للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال .. مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود هم شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة.. فكانوا يهدمون المساجد في المدن.. والقري الروسية أثناء.. وبعد قيام الثورة.. ويحولونها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب.. ويمنعون المسلمين من ممارسة وإظهار شعائرهم دينية.. وأصبح اقتناء المصحف عندهم جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة عام كامل.. ويقولون بأن المادة هي أساس كل شيء.. ويؤمنون بأشياء ثلاثة هي : ماركس ولينين وستالين.. بينما يكفرون بثلاثة أخري هي : "الملكية الخاصة".. "البرجوازية".. و"الرأسمالية".. ويحاربون الملكية الفردية ويطالبون بشيوع الأموال وإلغاء توارثها.. وفسروا تاريخ البشرية على أنه صراع أبدي.. ومستمر بين البرجوازية وتعني الرأسمالية.. والبروليتاريا.. وتعني طبقة الفقراء.. وتركزت اهتماماتهم في كل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.. واعتبروا أن كل تغير في العالم هو نتيجة حتمية لتغيّرها.. كما أن الفكر والحضارة والثقافة كل ذلك وليد التطور الاقتصادي.. وعليه كانوا يؤمنون بأن العوامل الاقتصادية هى المحرك الأول للأفراد والجماعات.. حتى الأخلاق ربطوا بينها وبين الوضع الاقتصادي.. وقالوا بإنها نسبية وانعكاس لحركة الإنتاج ..

منهجهم في الحكم :

عندما وصل البلاشفة عام ١٩١٧ للحكم رفعوا مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).. ذلك المبدأ الميكافيلي الشهير كشعارٍ لهم في الحكم.. حتي قيل أن "لينين" قرر ذات يوم أن يختبر شجاعة ومدي إمكانية الوثوق بتلميذه الجديد ستالين.. وأراد أيضاً أن يُري باقي قادة الثورة مقدرته على السيطرة على الآخرين.. فكلف ستالين بسرقة أحد

= مؤلفاته: البيان الشيوعي الذي صدر سنة ١٨٤٨ - رأس المال ظهر سنة ١٨٦٧م وهو أشهر كتبه). وساعده في التنظير للمذهب والعمل على نشره والدعاية له صديقه الحميم فردريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥) والمعروف أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات.. ومن مؤلفات إنجلز: (أصل الأسرة- الثنائية في الطبيعة - الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية).

المصارف كان يسمي (مصرف تيفليس).. واختار "ستالين" شريكا له في تلك المهمة أرمنياً يدعي "بتروبان".. الذي أبدل اسمه فيما بعد فأصبح كامو.. وعمل الاثنان كميناً لسيارة المصرف.. وقذفاها بقنبلة يدوية فجّرت كل ما فيها.. ولم يبق منها إلا الصندوق المصفح الذي كان به ٢٥٠ ألف روبل.. وقتل في هذا الحادث ٣٠ شخصاً..

أما سياستهم فكانت أن يحكموا الشعب الروسي بالحديد والنار.. وبديكتاتورية شديدة.. وقال: "لينين" يصف فكرهم هذا : (إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بالشيء المهم إنما الشيء الأهم هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيًّا).. وهذه القاعدة طبقوها في روسيا أيام الثورة [1].. ولم يكن هناك على الإطلاق أي مجال لإعمال الفكر.. والعقل..

بين راسبوتين.. والثورة البلشفية:

ومع اختلاف الصياغة كان هذا هو نفسه أحد مبادئ "راسبوتين" الشهيرة الذي كان يسلب ضحاياه إرادتهم.. وتفكيرهم تحت تأثير التنويم المغناطيسي.. وكان شعاره الشهير الخطيئة تطهر النفس البشرية إنما يحمل في طياته تطبيقاً غير مباشر لهذ الشعار.. الذي كان يبرر به مجونه.. وشطحاته وإدمانه ارتكاب الفواحش.. والترويج لها..

وكانت الدولة بالنسبة لهم هى الحزب الشيوعي.. والحزب هو الدولة [2].. وكانوا يحلمون بأن يحكموا العالم كله بالشيوعية.. وأن يصبح تحت سطوتهم عالم شيوعي واحد.. وفي سبيل ذلك كانوا لا يحجمون عن اتباع أي طريق مهما كانت بشاعته في

(١) وبعدها كذلك في الصين وغيرها حيث أبيد ملايين من البشر.. وفى باقي دول العالم التي آمنت بالشيوعية مثل.. تشيكوسلوفاكيا.. المجر.. بلغاريا.. بولندا.. ألمانيا الشرقية.. رومانيا.. يوغسلافيا.. ألبانيا.. كوبا التي أصبحت الآن هي المعقل الوحيد الباقي من معاقل الشيوعية علي مستوي العالم.. وكلها دخلتها الشيوعية .. وحكمتها بالحديد والنار والتسلط الديكتاتوري ..

(٢) تكون المكتب السياسي الأول للثورة البلشفية من سبعة أشخاص كلهم يهود.. إلا واحداً فقط .. وهذا يعكس مدى الارتباط بين الشيوعية واليهودية..

سبيل غايتهم .. وتفوقوا في هذه الجزئية على "راسبوتين" الذى كانت أحلامه محدودة في هذا الشأن.. فلم يخرج بطموحاته خارج الحدود الروسية.. ولكن كانت هذه هى نفسها أحلام القيصر "نيقولا الثاني" التوسعية التي أشرنا إليها من قبل.. ودفعت روسيا ثمنها غالياً.. وكانت تلك هى أكثر مآخذ الثوار على القيصر المخلوع.. لكنهم جاؤوا ليناقضوا أنفسهم ويستمروا على دربها.. وحتى الثوار الذين ساعدوهم في الوصول إلى السلطة.. وكان معظمهم بعد إنهاء مهامهم.. يحكم عليهم بالموت أو بالنفي.. ولم ينقض وقت طويل حتى كان أعضاء المؤتمر العالمي الأول إما مقتولين وإما في السجن وإما في المنفى..

بين رمضاء القياصرة.. ونار البلاشفة :

وأصبح المجتمع الروسي وكأنه يستجير من رمضاء القياصرة.. ونار البلاشفة.. بعد أن تسبب البلاشفة في الكثير من المظالم التاريخية.. وذبحوا بسكين الثورة كل من وقف في طريقهم.. حتى غاصت روسيا في بحيرة من دماء العنف الثوري بزعم أن ذلك قربان الوصول للحلم المنشود (يوتوبيا الشيوعية).. التي لن نستطيع أبداً أن نتفهم أحداث تلك الفترة.. وما ترتب عليها من مآسى دون التوقف عندها لنتعرف عليها.

فلسفة الثورة.. والشعب المخدوع :

آمن الشاعر الروسي الشهير "ألكسندر بلوك" بأن ثمة معنى صوفياً عميقاً يكمن وراء الثورة البلشفية.. وفي قصيدته "الإثنا عشر" التي كانت أول محاولة شعرية لتجسيد الحدث.. صور الشاعر المخدوع مثله مثل باقي أبناء روسيا الثورة على أنها عمل بادر إليه حواريو عيسى الإثنا عشر.. لماذا؟ ما هو الرابط بين الاثنين ؟.. كان الرابط الوحيد بين الحالتين بلا شك هو المجتمع وما آل إليه من تردٍ صاعق في كافة أحواله بالشكل الذي أشرنا إليه.. لكن كانت حقيقة الثورة هي العكس تماماً ..

اليهود.. والثورة البلشفية :

وكان للوبي الصهيوني دور كبير في إنجاح الثورة البلشفية.. وهناك مفارقة هامة وخطيرة وهى أن عام اندلاع الثورة البلشفية.. كان هو نفسه العام الذي صدر فيه بحق اليهود وعد بلفور المشؤوم.. وهى بلا شك مفارقة ذات مغزى.. لابد من رابط يوضحها.. وبنظرة عامة على الثورة الروسية يهيأ للجميع أن هذه الثورة وكأنها قامت أساساً لمناصرة اليهود[1].. والعمل على إقامة دولتهم فبعد موت "تيودور هرتزل" الأب الروحي للحركة الصهيونية الحديثة.. تولى "حاييم وايزمان" رئاسة الحركة.. وفي ٨ مايو ١٩١٦ التقي "وايزمان" مع "لينين" بحضور الكاتب الصهيوني جاك ليفي .. وكان اللقاء في بيت الصناعي اليهودي "دانيال شورين" بزيورخ في سويسرا.. لهدف واحد وهو بحث سبل تحقيق وتنفيذ المخطط الثوري الإشتراكي لتقويض القيصرية الروسية.. وفي هذا اللقاء قال "لينين" لـ "وايزمان" :

(إن نجاح الثورة في روسيا يتوقف على كابوس ملوك أوربا وحكامها ورفعهم إلى أعلى مراتب الدولة.. -يقصد اليهود- الذين يجب تحريرهم.. ودعمهم.. ولابد من العمل على إنشاء دولة خاصة لهم في فلسطين بعد نجاح الثورة في روسيا.. واستيلاء الشيوعيين على الحكم هناك).. وكأن لينين كان يُضّمن كلامه وعداً يتلخص في المساعدة علي إنشاء دولة اليهود.. ولكن بشرط نجاح الثورة الشيوعية في روسيا.. ومن بين السطور يبدو واضحاً حالة الترغيب التي يُضمنها لنين عبر كلامه للزعيم الصهيوني بأن هذا الشرط مرهون تحقيقه بمساعدتهم كيهود.. وكحركة صهيونية في دعم الثورة لضمان نجاحها المأمول.. لذا لم تستطع الثورة ومع بدايات اندلاعها إخفاء تواطؤ قادتها الواضح مع اليهود وعملها لتحقيق أهدافهم فقد أصدر قادتها في الأسبوع الأول لقيامها قراراً بحق اليهود.. القرار تلخص في شقين أساسيين هما :

١ - العداء لليهود هو عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.

٢ - الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

---

(١) مع أنهم كانوا لا يشكلون سوى نسبة ٢, ٤٪ من سكان الإمبراطورية.

المستوي الداخلي :

لكن كان هناك في نفس الوقت إنجازات عديدة للثورة البلشفية.. على الصعيد الداخلي فبفضل هذه الثورة انتقل المجتمع الروسي المتخلف شبه الإقطاعي والرأسمالي إلى الاشتراكية المطلقة بعد أن قاد البلاشفة المجتمع الروسي نحوها.. وفي غضون انتصار الثورة.. وإعادة تصحيح مسارها.. أصبحت الإرادة الجماهيرية لأول مرة في التاريخ الإنساني تتجسد في السلطة السياسية وأصبحت تلك السلطة تعبر عن تلك الإرادة في حكومة المجالس التي كانت بمثابة السلطة التنفيذية لمجلس السوفيت الأعلى المنتخب بشكل مباشر من الجماهير والتي جمعت بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.. وكذلك أصبحت الجماهير لأول مرة في التاريخ الإنساني قادرةً على تحديد مصيرها السياسي.. وعليه فإن هذه النقطة بحد ذاتها تعتبر أقصى مكاسب التمدن والتحضر لأن الجماهير هى التي تقرر وهى التي تراقب أداء الحكومة وهى التي لها الصلاحية في عزل أي موظف مهما كان موقعه في الدولة..

المرأة :

وعلى مستوى المرأة ..أصبح لها وضعها المتميز داخل الدولة والحزب والمجتمع السوفيتي ككل.. فبينما كانت المرأة.. فيما سبق محرومة حتى من حق التصويت.. فتحت الثورة البلشفية أبواب جميع ميادين الحياة الاجتماعية أمام المرأة وكان للمرأة دورها وموقعها في جميع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الروسي.. حتى تساهم إلى جانب الرجل في صُنع القرار السياسي.. وألغت الحكومة السوفيتية رسمياً ظاهرة البغاء داخل المجتمع السوفيتي بعد أن أزالوا كل الأسباب المادية والاجتماعية التي كانت سبباً لها فيما مضي.. وبذلك لم تعد المرأة مضطرة لبيع جسدها كي توفر لقمة العيش لها ولأسرتها..

الأرض للفلاحين :

أما الفلاح الروسي فكان له خصيب الأسد من إنجازات الثورة.. وتم إنشاء شبكة واسعة من الطرق والمواصلات في كافة أرجاء روسيا المترامية الأطراف ربطت الريف المتخلف بالمدينة المتحضرة.. وأسس الفلاحون أسوةً برفاقهم العمال جمعيات واتحادات خاصة بهم ترعى مصالحهم .. وحصل هؤلاء.. وأولئك على حقوقهم السياسية التي كانوا محرومين من ممارستها فيما مضى.. وتغيرت تماماً صورة المجتمع الروسي.. ورفع "لينين" الذي استهل عمله السياسي بإظهار تعاطفه وولائه للطبقات الشعبية شعار "الأرض للفلاحين".. مما كان له أثره السحري على الغالبية العظمى من فلاحي روسيا.. وعلى نحو جلب له كسباً مذهلاً للقلوب والعقول.. وربما كان هذا هو السبب في أن جثمان (لينين) المحنط والموضوع في تابوت زجاجي.. والذي أصبح بمثابة أيقونة ثورية ما يزال مسجى هناك في الصرح التذكاري أمام مبني الكرملين في روسيا.. بينما أسقطت عن عمد النصب التذكارية الأخرى التي أقيمت فيما بعد لـ "ستالين" الذي تعامل معه الشعب الروسي باعتباره ديكتاتوراً.. وحدث ذلك في مساء إحدي ليالي عام ١٩٥٦ علي يد الزعيم السوفيتي الأسبق (نيكيتا خروتشوف) الذي رأي فيه تجسيداً للقمع.. والإضطهاد السياسي الذي كان يمارسه "ستالين" ضد الشعب.. بينما ما تزال تماثيل "لينين" في أماكنها بالعديد من المدن في طول البلاد وعرضها.. وهى بلا شك مفارقة ذات مغزى لا يجب إغفاله.. فغالبا ما تأتي الثورات الاجتماعية بزعماء يتمتعون بموهبة خاصة في شحذ هامات الجماهير التفافهم من حوله.. وكان لينين بلا شك من هذه النوعية[1].. وبدأ تواصله مع الجماهير عند اندلاع الثورة عام ١٩١٧ بحركة جماهيرية أشعلت حماس الجميع عندما قفز إلى ظهر ناقلة جنود ليحدثهم عن رؤيته في الثورة الشيوعية ويدعوهم إليها.. لحظتها لم تجد الجموع المحتشدة حوله إلا الهتاف له.. وحمله على

---

(١) كان لينين رجلاً بألف وجه..

الأعناق.. والطواف به في كل ميادين العاصمة.. وفي ٣٠ ديسمبر من سنة ١٩٢٢ أعلن رسمياً قيام الاتحاد السوفيتي.

ولكن :

تبقى الثورة البلشفية بالرغم من كل المآخذ التي أخذت عليها هى حدث هام غير مجرى التاريخ الإنساني.. وكحدث مهم كان لابد أن يكون له ضحايا.. ولا نستطيع على الإطلاق إنكار أنها كانت من أهم أحداث القرن العشرين وأخطرها بعد أن نجح البلاشفة في الاستئثار بالسلطة السياسية في بلدٍ كان يعيش في ظل موازنات وأوضاع سياسية واجتماعية داخلية وخارجية في غاية التعقيد.. واستتب الأمر تماماً للبلاشفة في حكم روسيا.. ثم تم تأسيس الاتحاد السوفيتي فيما بعد ليصبح قبل انهياره في أوائل التسعينيات من القرن الماضي هو إحدي القوتين العظميين اللتين تقودان العالم بجانب الولايات المتحدة الأمريكية.

خاتمة

هل كان "راسبوتين مظلوماً "؟

"راسبوتين" الذي ذاعت شهرته كشيطان آدمي في ثياب قديس.. ليس كذلك عند البعض ممن كانوا ومازالوا يرون فيه إنساناً مظلوماً.. شوهت صورته لحساب بعض القوى المعادية له عن عمد.. بل ويبالغون في وصف أنه كان إنساناً مقدّساً.. تُصنع علي يديه المعجزات.. ورسمت كتاباتهم له صورة ترفعه بحق من مصاف البشر العاديين.. إلى منازل القديسين.. لعل أبرز ملامح هذه الصورة:

- المتعطش لمعرفة الحياة.. المشرّد بين بقاع الأرض لينشر كلمة الحق.. ويساعد المرضى على الصبر والشفاء ويحقّق لهم معجزات غريبة بإيمانه العميق الشديد.. وتقوده حاسّة مجهولة للتنبؤ بالغيب دون اللجوء لأية وسيلة سوى التواصل الروحيّ مع الله.. ويتراءى للمؤمن بأنّه روحٌ سماوية خالدة.. وناسكاً لدرجةّ التصوّف في خلواته الروحانية المتعددة الطويلة .. باختصار كانت حياته سلسلة متصلة من البحث عن الحقائق الكونية.. وسنوات من التصوّف و نهل العلم و المعرفة الدينية و الروحية.. تمكّن من فرض نفسه كراهبٍ ناسّكٍ.. و قدّيسٍ قادرٍ على شفاء المرضى و الحيوانات من أمراضهم و آلامهم.

من أقواله :

نسبت العديد من الأقوال إلى "راسبوتين".. لكن أين الصحيح منها من المنسوب إليه؟ لا أحد يستطيع تصنيف وفصل هذا.. من ذاك.. وهل سيقت تلك الكلمات على لسانه من خلال الأعمال الأدبية التي تحدثت عن أسطورته.. أم قالها بالفعل؟

لا أحد يعرف.. لكن المؤكد أن جميع تلك الكلمات تتحدث بلسان الحكمة.. والصوفية في إطار فلسفي عميق.. وفي بعض تلك الكلمات يقول :

- البحر شاسع.. ولكن الضمير أكثر عمقاً.

- الضمير الإنسانيّ لا حدود له.. و كلّ فلاسفة العالم مجتمعين.. لن يستطيعوا فهمه.

- لماذا توجد اليوم كل هذه الديانات؟ لأنّ الكنائس فارقتها الأرواح.. وليس فيها سوى الموتى.. لهذا نشعر بصمت ورهبة الكنائس.

- الصدق.. كالموجة على سطح الماء.. و إذا ما هدأت أمواج البحر وسكنت.. فالصدق لا يستكين و يهدأ إلاّ بمَكرُمة.

- الإيمان يُزهِرُ على الحقّ دون ربيع.

- لستُ ذاك الذي يشفي من الأمراض.. بل هو الله القادر على كلّ شيء ..

- آه يا هذا النور.. كم أرغب في أن أتمكن من الاقتراب منه ولمسه.. إنه نجمة تنزلق على انعكاسات المياه.. ها قد أصبح سواد السماء أزرقاً..

- آه أيتها القديسة العذراء.. آه يا مريم.. يا سيدتي ذات الرداء الأزرق والأبيض.. لقد جئتُ هذه الليلة الأخيرة إلى هذه المدينة الميتة لكي تأخذيني.

أنت التي كنت محقة.. أنت أم جميع الأمهات.. لم أطعك كما يجب.. لم أعد أشعر بشيء.. نعم ... خذيني إلى البحر القريب.. هناك إلى الشمال.. ارفعيني إليك يا مريم.. لكي أتمكن أخيراً من تقبيل أهداب ثوبك الأزرق.. وأسألك الغفران" .

"راسبوتين" الرمز:

وتحول "راسبوتين" لرمز مجسد للحقبة الأكثر ظلماً.. وظلاماً في وطنه.. ثم رمزاً للشعوذة في العالم أجمع بعد ذلك.. وأثار ثراء شخصيته وغرابة أفعاله خيال

الكثير من الأدباء والكتاب خاصة كتاب السينما والمسرح في روسيا والعديد من دول العالم[1] لاتخاذه مادةً خصبة للكثير من الأعمال السينمائية.. والمسرحية والتى لاقت نجاحاً كبيراً عند عرضها ..[2] وكالعادة في مثل هذه الأحوال كان لخيال الكاتب دوره الكبير في خلق الكثير من الأحداث مما لاسند له من الواقع حول أسطورة الرجل.. الذي مثلما كان رمزاً لكل ما هو ملفوظ.. وممقوتاً إنسانياً.. إلا أنه بسيرة حياته التي عرضنا لها كان مثلاً أعلى للبعض ممن هم على شاكلته.. كانوا جميعهم يتمنون أن يعيشوا حياتهم على الطريقة الراسبوتينية[3].

بلا إجابة :

والآن.. وبعد قرابة القرن على وفاته.. يبقى السؤال.. ويبقى صاحبه لغزاً من الألغاز التي لا إجابة لها.. هل كان "راسبوتين" معجزة حقيقية.. أم شيطاناً تجسد في صورة قديس.. وجسد إنسان ؟؟ من يملك الإجابة ؟؟ لاأحد !!

---

(١) في مصر وفي الأربعينيات من القرن الماضي قام الفنان المسرحي يوسف وهبي بكتابة.. وبطولة.. وإخراج عمل مسرحي حقق وقتها نجاحا كبيراً عن أسطورة "راسبوتين" وحمل العمل نفس الاسم.. وقام يوسف وهبي بإعادة عرضه علي خشبة المسرح في الستينيات وتم تصويره تليفزيونياً..

(٢) حتى علي المستوي الغنائي قام فريق البوني إم الغنائي الشهير في السبعينيات من القرن الماضي بأداء أغنية تتحدث عن أسطورة "راسبوتين" وحققت الأغنية انتشاراً كبيراً وواسعاً آنذاك.. كلمات الأغنية كاملةً في فصل الملحقات والصور بآخر الكتاب ..

(٣) تناقلت وكالات الانباء بعد أحداث مذبحة مدرسة (بيسلان) الشهيرة في جمهورية أوستيا الشمالية التي هاجمها الارهابيون وأطلقوا فيها النيران بعشوائية مما أسفر عن مصرع عشرات التلاميذ الأبرياء.. وجرح وإصابة المئات مابين تلاميذ صغار.. ومدرسين.. ومشرفين.. أن المدعو جريجوري جرابوفوي المسمى الذي أطلق عليه في روسيا (راسبوتين الجديد) قد وعد أمهات التلاميذ بأن يُحيي لهن أطفالهن الذين راحوا ضحية تلك المذبحة المشهورة.. وجريجوري جرابوفوي هذا قبضت عليه السلطات الروسية بتهمة ممارسة الدجل والشعوذة.. والطريف في قضية "راسبوتين" الجديد هذا.. ان الرجل بعد القبض عليه أعلن اعتزامه خوض الانتخابات الرئاسية في روسيا كمنافس لبوتين ..وأعلن عن برنامجه الانتخابي الغريب الذي كان يتمثل في :

١ ـ تحريم الموت.

٢ ـ حظر الانتقال الى العالم الآخر.

٣ ـ العمل من أجل إحياء الموتى.



الملحقات

قياصرة "آل رومانوف"

حكمت سلالة (آل رومانوف) روسيا من عام ١٦١٣م.. وحتى شهر فبراير من سنة ١٩١٧م.. وتنسب جذور هذه العائلة لأحد نبلاء مدينة موسكو ويدعى "أندريه أيفانوفيتش كوبيلا" والذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر.. واسم (رومانوف) ينسب إلى (رومان يوريف) الذي توفي سنة ١٥٤٣ وهو والد (استانسيا رومانوفا) وهي الزوجة الأولى للقيصر(إيفان السادس).. في عام ١٦١٣م انتخب المجلس الوطني (ميخائيل رومانوف) قيصراً لروسيا وكان حفيداً لشقيق (انستانسيا) فأصبح أول حاكم لروسيا من سلالة (آل رومانوف) والذي يعتبر حكمه بداية لإمبراطورية روسيا القيصرية.

حكام روسيا القيصرية من "آل روما نوف"حسب التسلسل التاريخي.. ومعلومات عن بعضهم :

١- ميخائيل رومانوف ١٦١٣م ـ ١٦٤٥م.

٢- الكسيس الأول (الحليم) ١٦٤٥م ـ ١٦٧٦م.

٣- فيدور الثالث ١٦٧٦م ـ ١٦٨٢م.

٤- صوفيا (الوصية على العرش) ١٦٨٢م ـ ١٦٨٩م.

٥- ايفان الخامس (الحاكم المشارك) ١٦٨٢م ـ ١٦٩٦م.

٦- بيتر الأول (بيتر الكبير) ١٦٨٢ م ـ ١٧٢٥م.

٧- كاثرين الأولى ١٧٢٥ م ـ ١٧٢٧م.

٨- بيتر الثاني ١٧٢٧م ـ ١٧٣٠م.

٩- آنا ١٧٣٠م ـ ١٧٤٠م.

١٠- إيفان السادس ١٧٤٠م ـ ١٧٤١م.

١١- اليزابيث ١٧٤١م ـ ١٧٦٢م.

١٢- بيتر الثالث ١٧٦٢م ـ ١٧٦٢م.

١٣- كاثرين الثانية (الكبيرة) ١٧٦٢ ـ ١٧٩٦م.

١٤- باول الأول ١٧٩٦م ـ ١٨٠١م.

١٥- الكسندر الأول (المبارك) ١٨٠١م ـ ١٨٢٥م.

هزم نابليون في سنة ١٨١٤ وأخذ على عاتقه إعادة تنظيم بلاده.. وأصدر عدداً من القوانين ألغت الأحكام التي كانت مطبقة على اليهود منذ عام ١٧٧٢.. والتي كانت تحدد إقامتهم في أماكن معينة.. وبذل القيصر جهداً لحث اليهود على العمل في الزراعة وغيرها.. وتشجيعهم على الامتزاج الكامل بالمجتمع الروسي.

١٦- نيقولا الأول ١٨٢٥م ـ ١٨٥٥م.

لم ينظر بعين الرضا إلى التغلغل السريع لليهود في الاقتصاد الروسي.. ولم ترتح حكومته إلي الإصرار الذي أبداه اليهود للحفاظ على تراثهم ولغتهم الخاصين وزيهم المميّز وهكذا.. وفي محاولة منه لإذابة العنصر اليهوديّ في المجتمع الروسيّ.. أصدر "نيقولا الأول" عام ١٨٣٤.. قوانين تجبرُ اليهود علي إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية.. وذلك لمحو معاناة الاضطهاد الديني التي كانوا يشربون إياها في الطفولة.

١٧- الكسندر الثاني (المحرر) ١٨٥٥م ـ ١٨٨١م.

وارتقي عرش روسيا القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٥٥.. ووصف بأنه "أكثر أمراء روسيا تسامحاً".. وقد كرس ألكسندر حياته لتحسين الأوضاع الحياتية

للفلاحين والطبقات الكادحة واليهود.. وحرّر في عام ١٨٦١ "٢٣" مليون عبد منهم.. وقد كانوا عبيداً بكل ما تعنيه الكلمة.. لكنهم قاموا بمحاولة لاغتياله عام ١٨٦٦.. ونجا القيصر من محاولتين لقتله بأعجوبة.. وتمكن المتآمرون أخيراً في المحاولة الثالثة من اغتياله عام ١٨٨١.. في بيت يهودية تدعي "هسيا هلفمان".

١٨- الكسندر الثالث (صانع السلام) ١٨٨١م ـ ١٨٩٤م.

١٩- "نيقولا الثاني" ١٨٩٦م ـ١٩١٧م.

في السبعينيات من القرن الماضي قدمت فرقة "البوني إم" الشهيرة عملاً غنائياً جمعت فيه مآثر "راسبوتين".. وكيف نظر إليه معظم الناس بخوف ورعب.. ولكنهم كانوا يعتبرونه شخصاً فوق العادة.. وهذه هي كلمات الأغنية التي تغني بها "البوني إم" :

There lived a certain man in Russia long ago
He was big and strong: in his eyes a flaming glow
Most people looked at him with terror and with fear
But to Moscow chicks he was such a lovely dear
He could preach the bible like a preacher
Full of ecstacy and fire
But he also was the kind of teacher
Women would desire
.:Hey hey hey hey hey hey hey hey
Ra Ra Rasputin
Lover of the Russian queen
There was a cat that really was gone
Ra Ra Rasputin
Russias greatest love machine
It was a shame how he carried on
He ruled the Russian land and never mind the czar
But the kasachok he danced really wunderbar
In all affairs of state he was the man to please
But he was real great when he had a girl to squeeze

For the queen he was no wheeler dealer
Though shed heard the things hed done
She believed he was a holy healer
Who would heal her son
But when his drinking and lusting and his hunger
:for power became known to more and more people
the demands to do something about this outrageous
man became louder and louder
Hey hey hey hey hey hey hey hey
Hey hey hey hey hey hey hey hey
This mans just got to go!" declared his enemies"
"But the ladies begged "Dont you try to do it: please
No doubt this Rasputin had lots of hidden charms
Though he was a brute they just fell into his arms
Then one night some men of higher standing
Set a trap: theyre not to blame
Come to visit us" they kept demanding"
And he really came
Ra Ra Rasputin
Lover of the Russian queen
They put some poison into his wine
Ra Ra Rasputin
Russias greatest love machine
"He drank it all and said "I feel fine

Ra Ra Rasputin
Lover of the Russian queen
They didn't quit: they wanted his head
Ra Ra Rasputin
Russia's greatest love machine
And so they shot him till he was dead
Spoken:(Oh: those Russians)

كتب أخرى للمؤلف :

١ -إلى أين يا عرب ؟؟!

٢ - هكذا تحدث العقاد " قراءة فى فكر العقاد الديني" .

٣ - العميل بابل " أوهام الموساد.. وحقيقة أشرف مروان" .

٤ - جاسوس في قصر الرئيس !!

٥- غاندي.

تحت الطبع :

١ - آلام الأنبياء !! (السمات النفسية والاجتماعية للأنبياء فى ضوء التحليل النفسي)

٢- اغتيالات سياسية غيرت مجرى التاريخ.

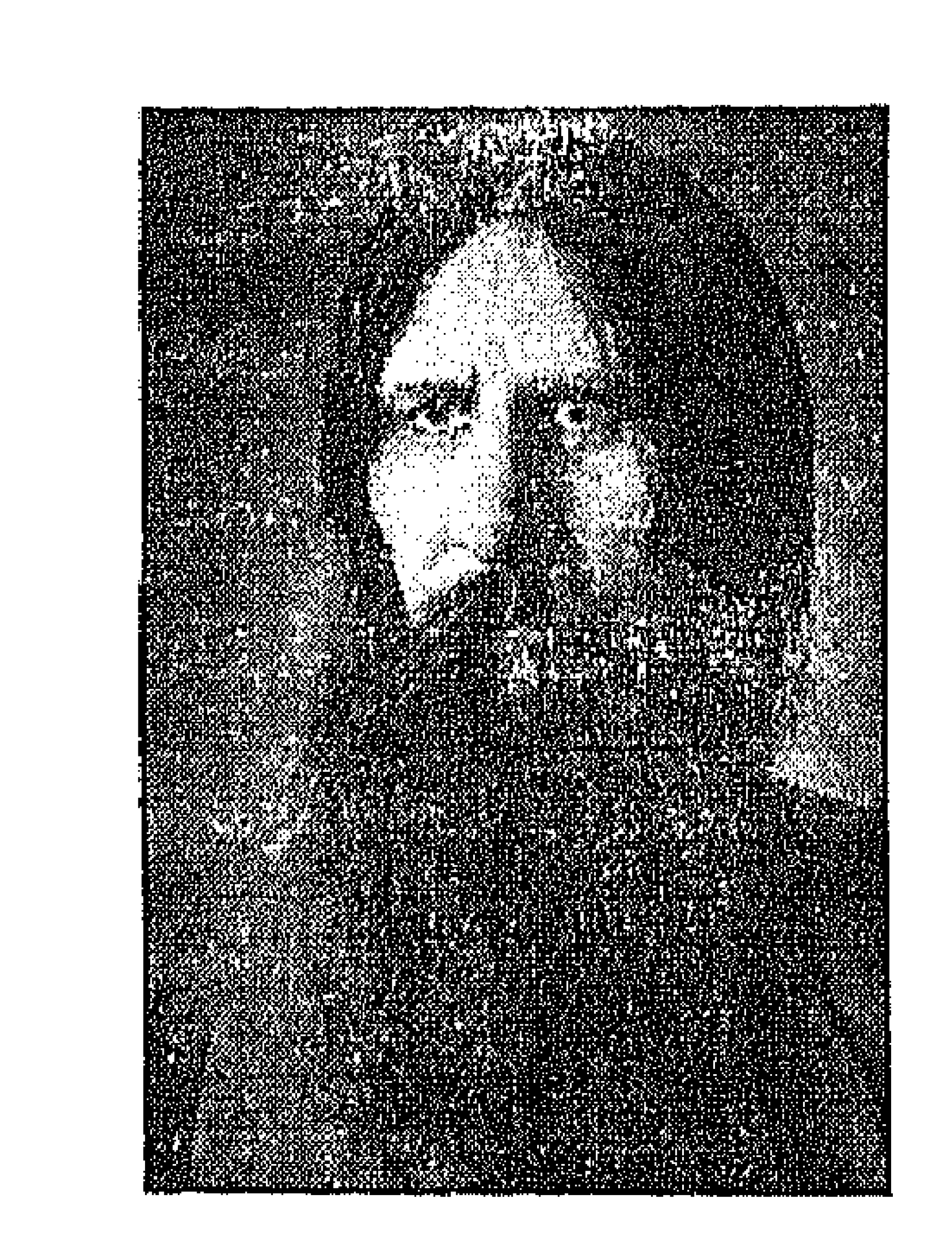
شخصيات زيفها التاريخ.



أهم المراجع

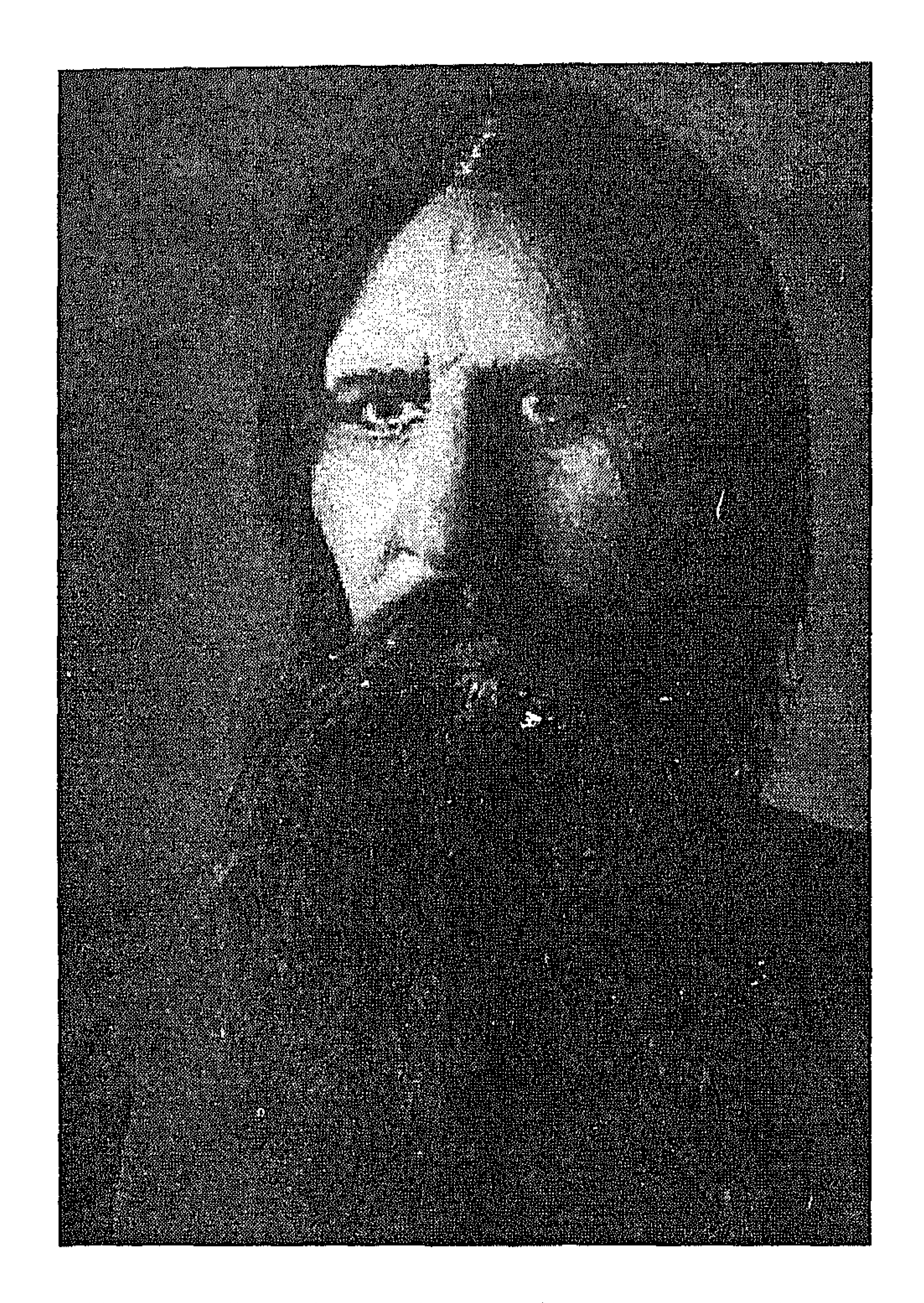
- موجز تاريخ العالم : المؤلف هـ . ج.. ويلز
- كنوز التاريخ : المؤلف فؤاد شاكر
- راسبوتين وسقوط القياصرة : للمؤلف البريطاني كولن ولسن.. دار الأهلية عمان.
- لماذا الاغتيالات السياسية ؟ : المؤلف مازن النقيب.. دار الأوائل.. سوريا
- أشهر الاغتيالات السياسية في التاريخ : المؤلف إبراهيم سراج.. العالمية للكتب.. والنشر.. القاهرة .
- السرطان الأحمر : د. عبد الله عزام.
- بلشفة الإسلام: د. صلاح الدين
- حقائق الشيوعية: نهاد الغادري.
- الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام : د. عبد الجليل شلبي.
- السراب الأكبر: أسامة عبد الله الخياط .
- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها: د. عبد الرحمن عميرة.
- أشهر الاغتيالات السياسية في العالم : جـ ٥.. المؤلف هاني الخير.. دار الكتاب العربي..
- الشيوعية وليدة الصهيونية: أحمد عبد الغفور عطار.



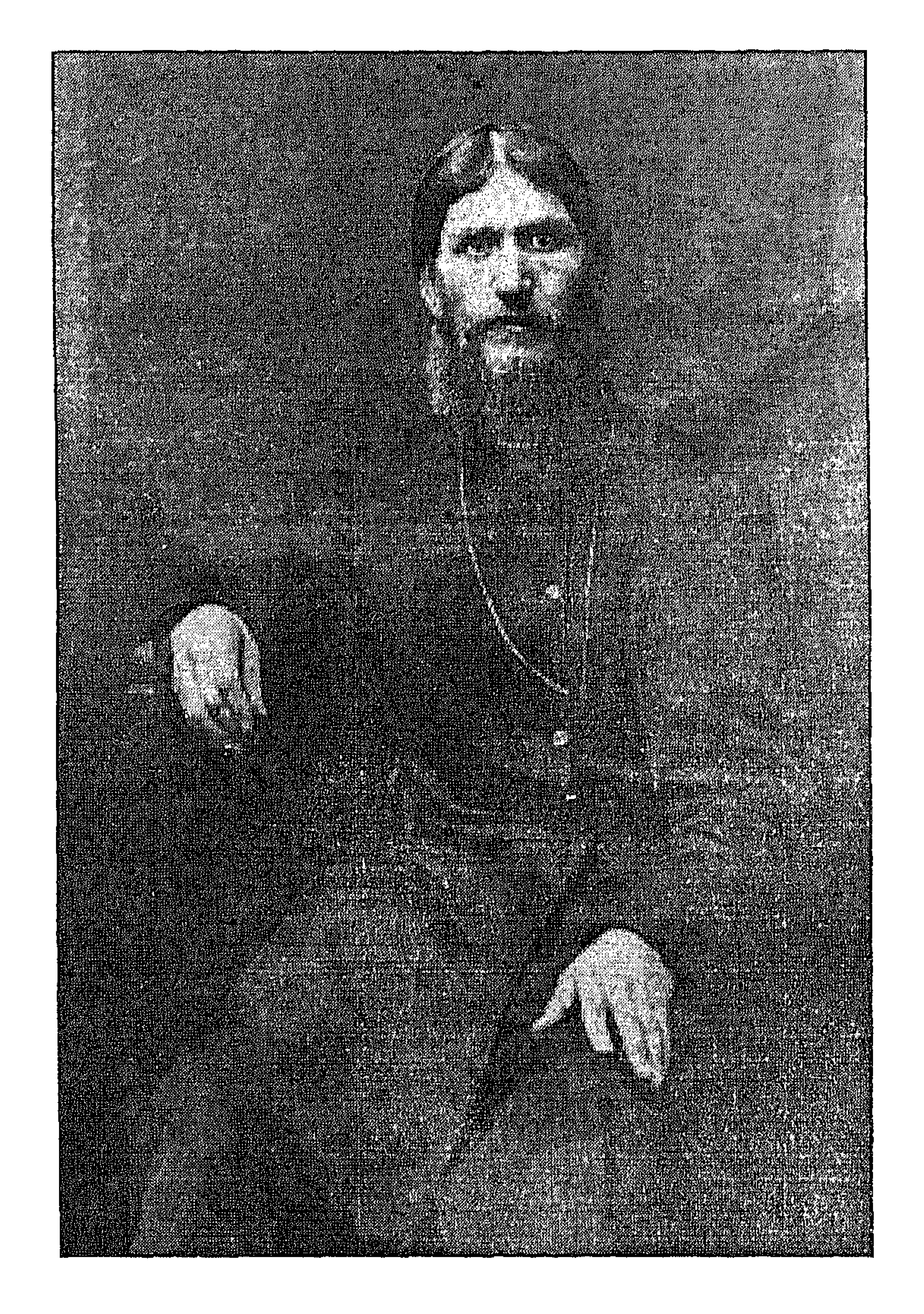


ملـف الصـور





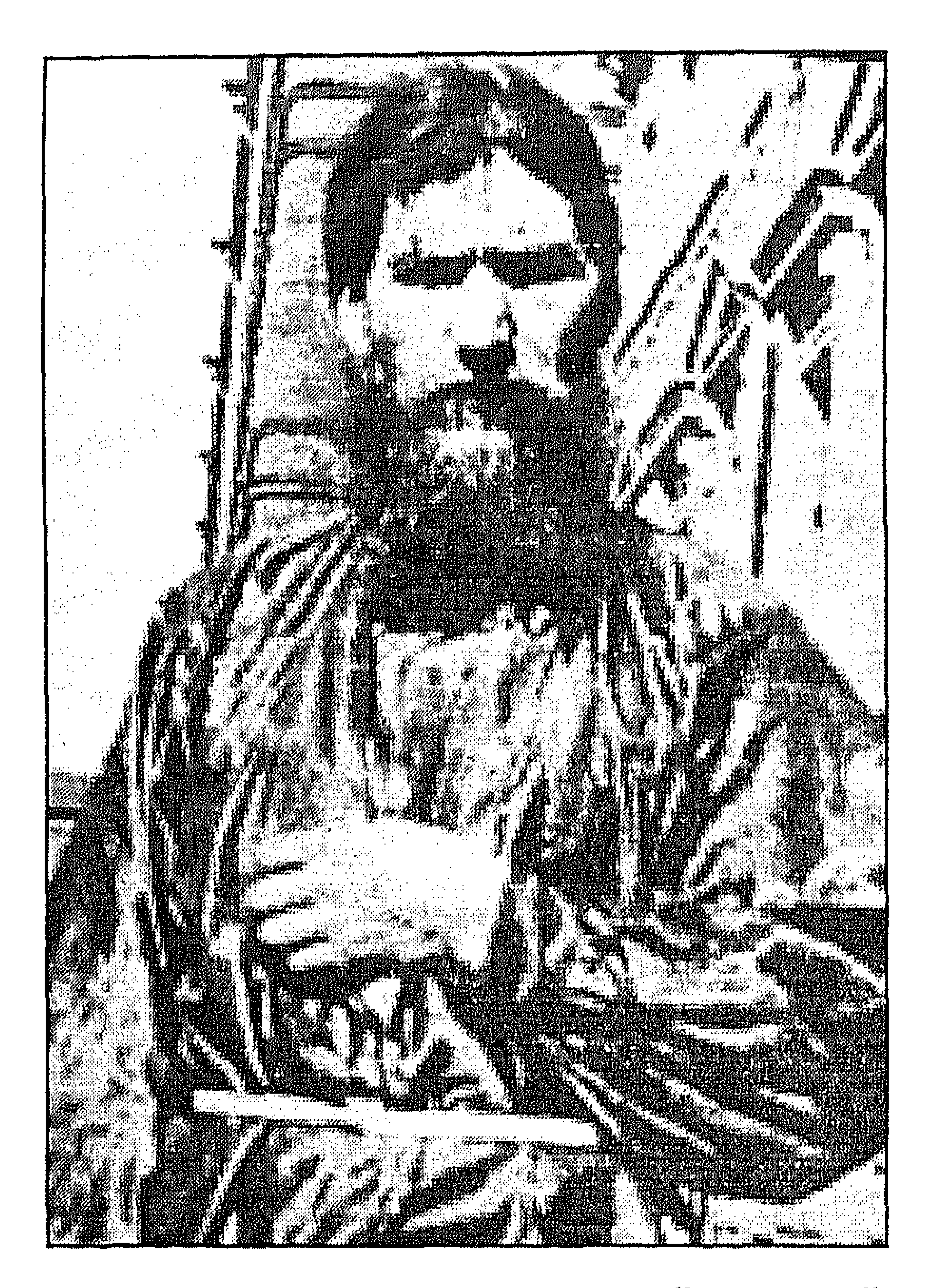
عينان مقتحمتان تشع منهما مغناطيسية غريبة!!



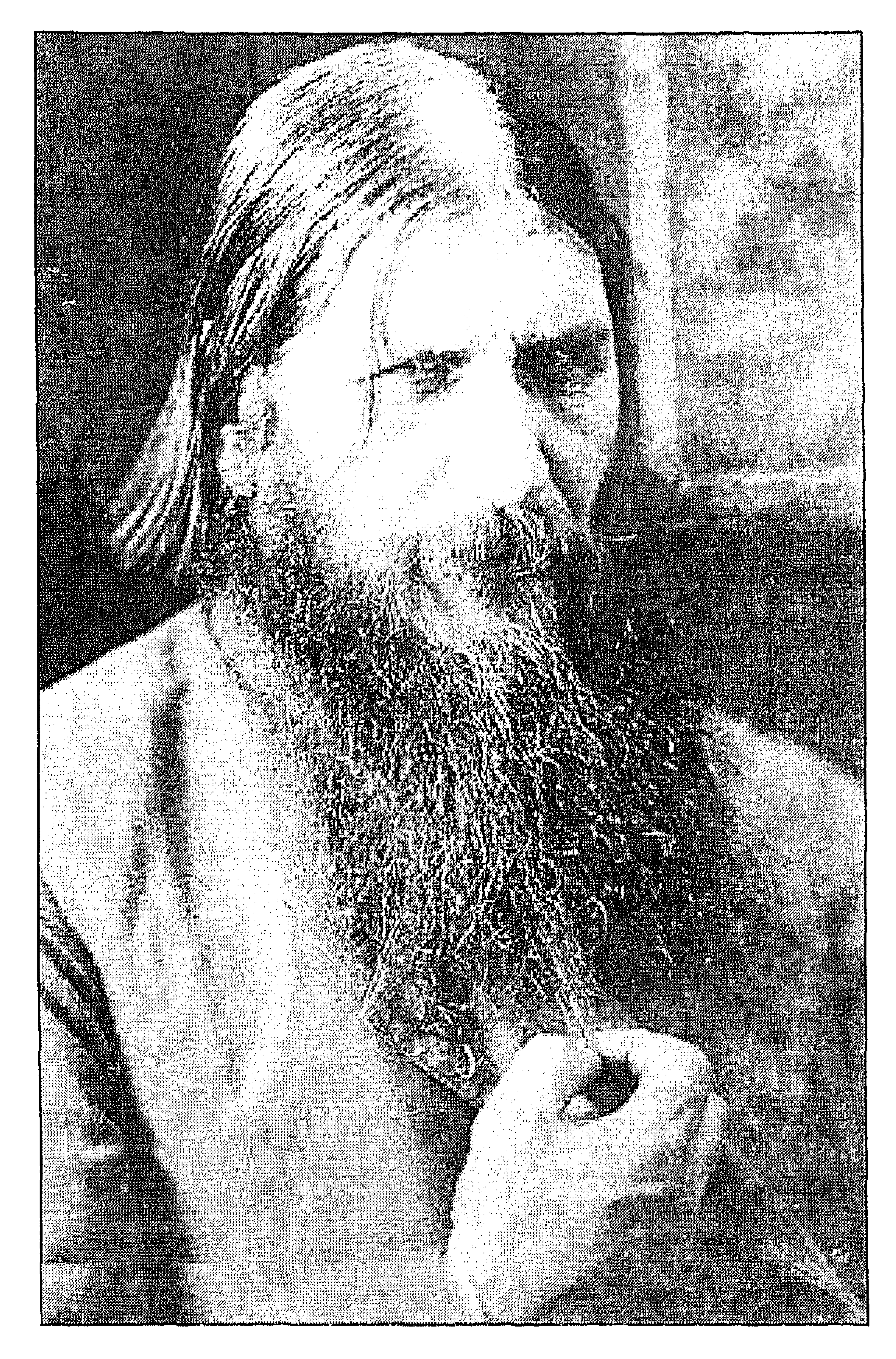
ملابس رجال الدين..

وهدوء ووقار مصطنعين.. يخفيان وراءهما شيطان في

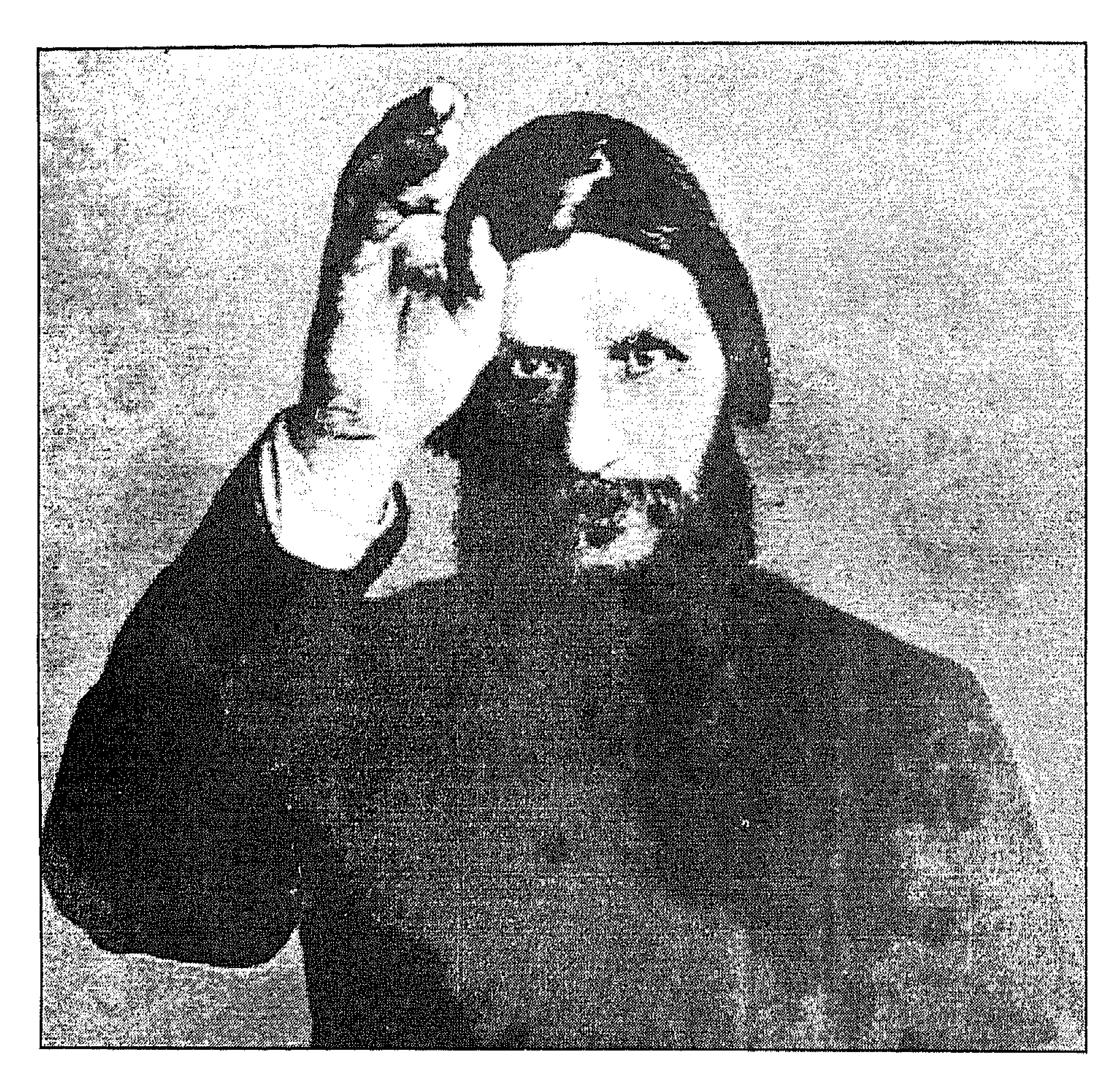
صورة قديس .



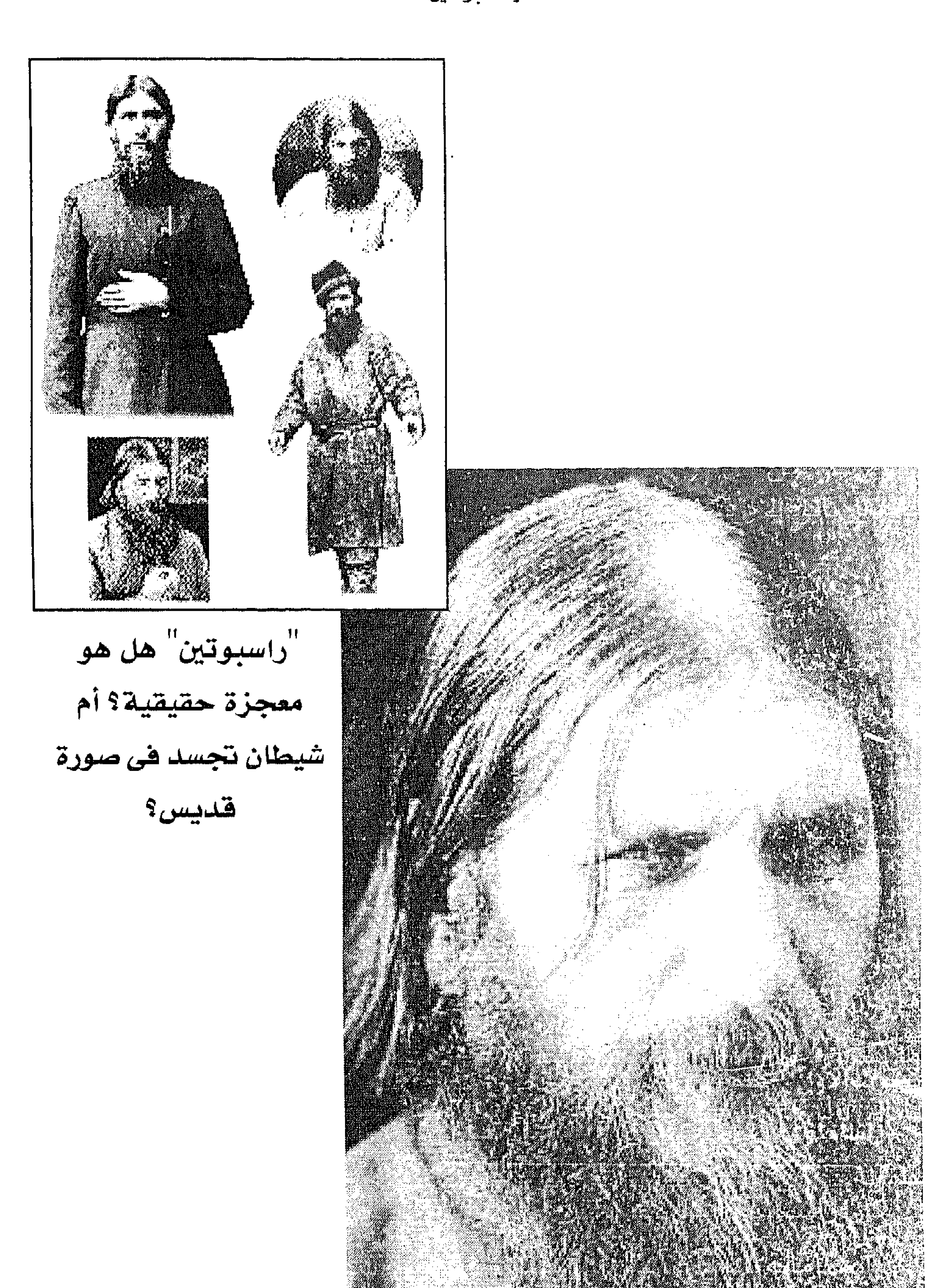
"راسبوتين" بملابسه الكهنوتية أمام كاتدرائية روسيا.



تري فيما كان يفكر "راسبوتين" وهو ينظر بعينيه تلك النظرة التي لم يكن أحد يستطيع مجابهتها؟

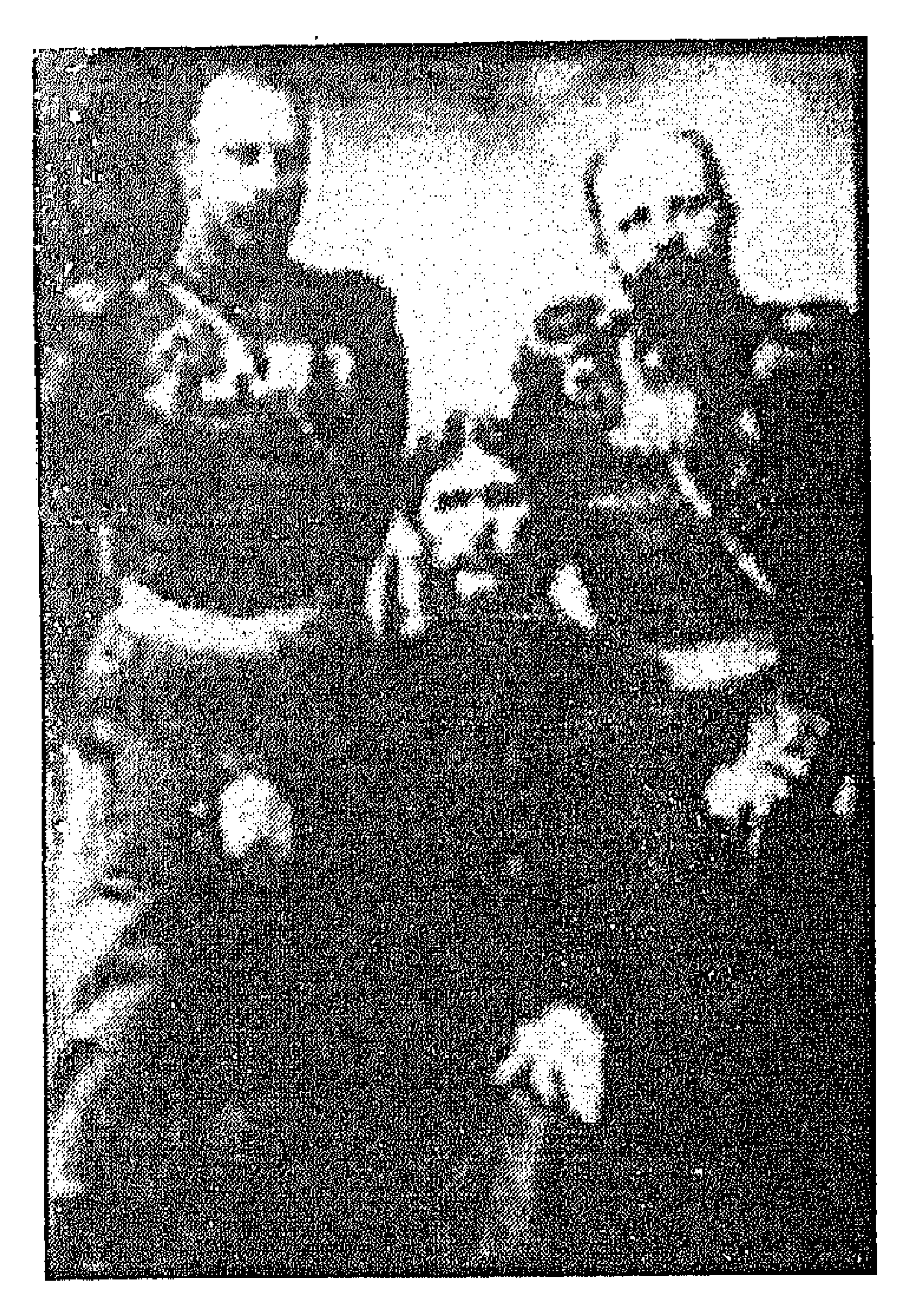


ترى لمن كان يمنح بركته ..؟



"راسبوتين" هل هو معجزة حقيقية؟ أم شيطان تجسد فى صورة قديس؟

نظراته الحادة كانت سبب تأثيره الشديد في الآخرين.



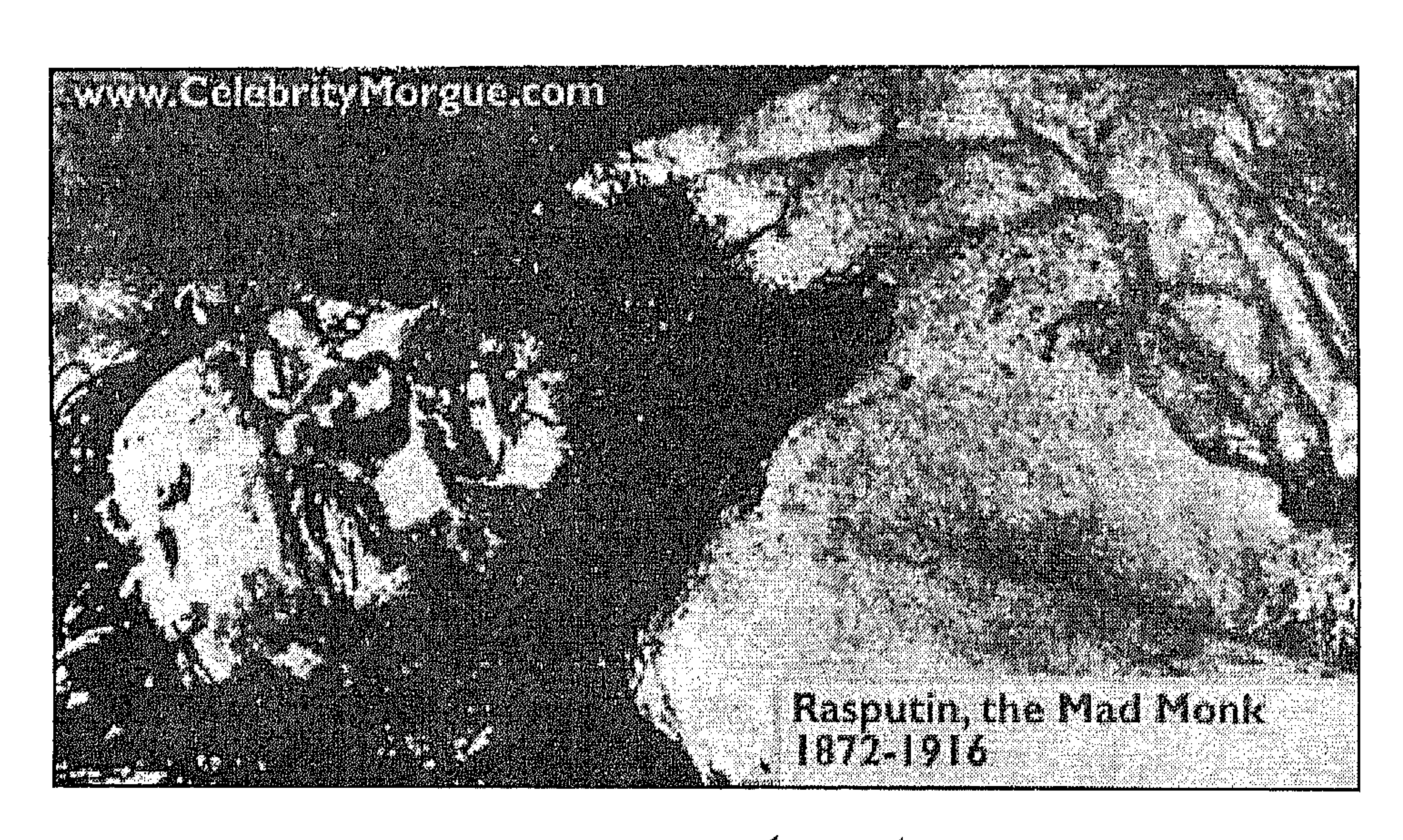
"راسبوتين" مع اثنين من وزراء
البلاط القيصري.



"راسبوتين" مع نساء طبقة النبلاء اللائي عشقنه بجنون.



"راسبوتين" مع الكاردينال الأكبر في روسيا وأحد الأساقفة.



وأخيراً.. قتيلاً على طاولة التشريح.



القيصرة (إلكساندرا) كلمة السر في أسطورة" راسبوتين" .



"نيقولا الثاني"



"إلكساندر الثالث" والد "نيقولا الثاني".



(١)



(٢)

(١)، (٢) ولي العهد الروسي (إلكسندر)
الأمير الذي لم يجلس على العرش أبداً!!



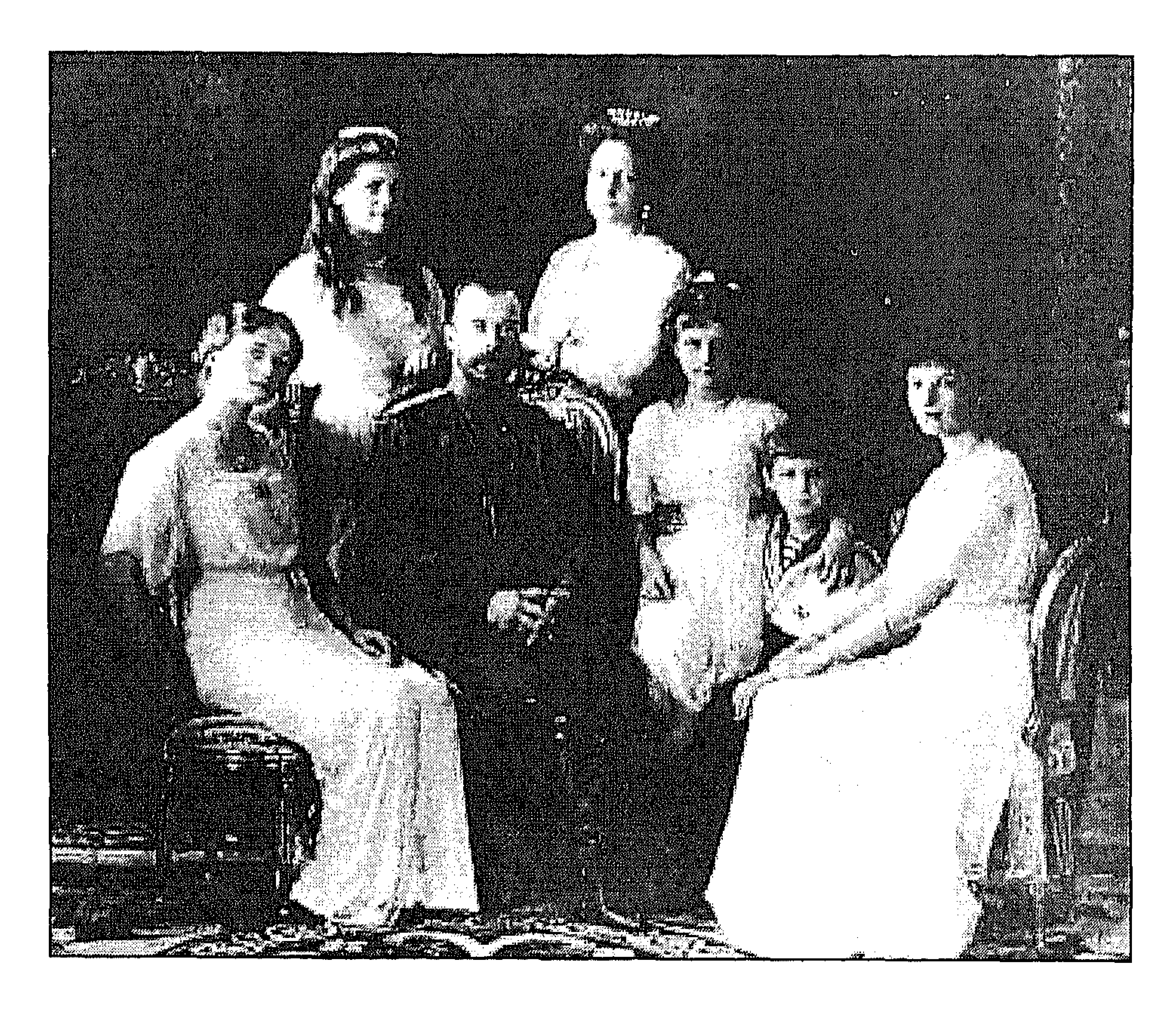
صورة للملكة فيكتوريا.. الجدة التي حملت فيروس سرطان الدم للعديد من أحفادها .



وأثناء تناولها العشاء مع بعض أبنائها.



الملكة فيكتوريا.. بالزي الملكي مع نيقولا الثانى (واقفاً إلى يسار الصورة) وبعض أحفادها فى صورة نادرة.



"نيقولا الثاني" آخر القياصرة الروس يتوسط عائلته التي أعدمتها الثورة البلشفية بالكامل.. القيصرة الزوجة.. وبناته الأربعة.. وولي عهده المريض.

"نيقولا الثاني".. وزوجته ألكساندرا..

صورة نادرة تحمل من أعلى توقيع القيصربتاريخ ١٨٩٤.



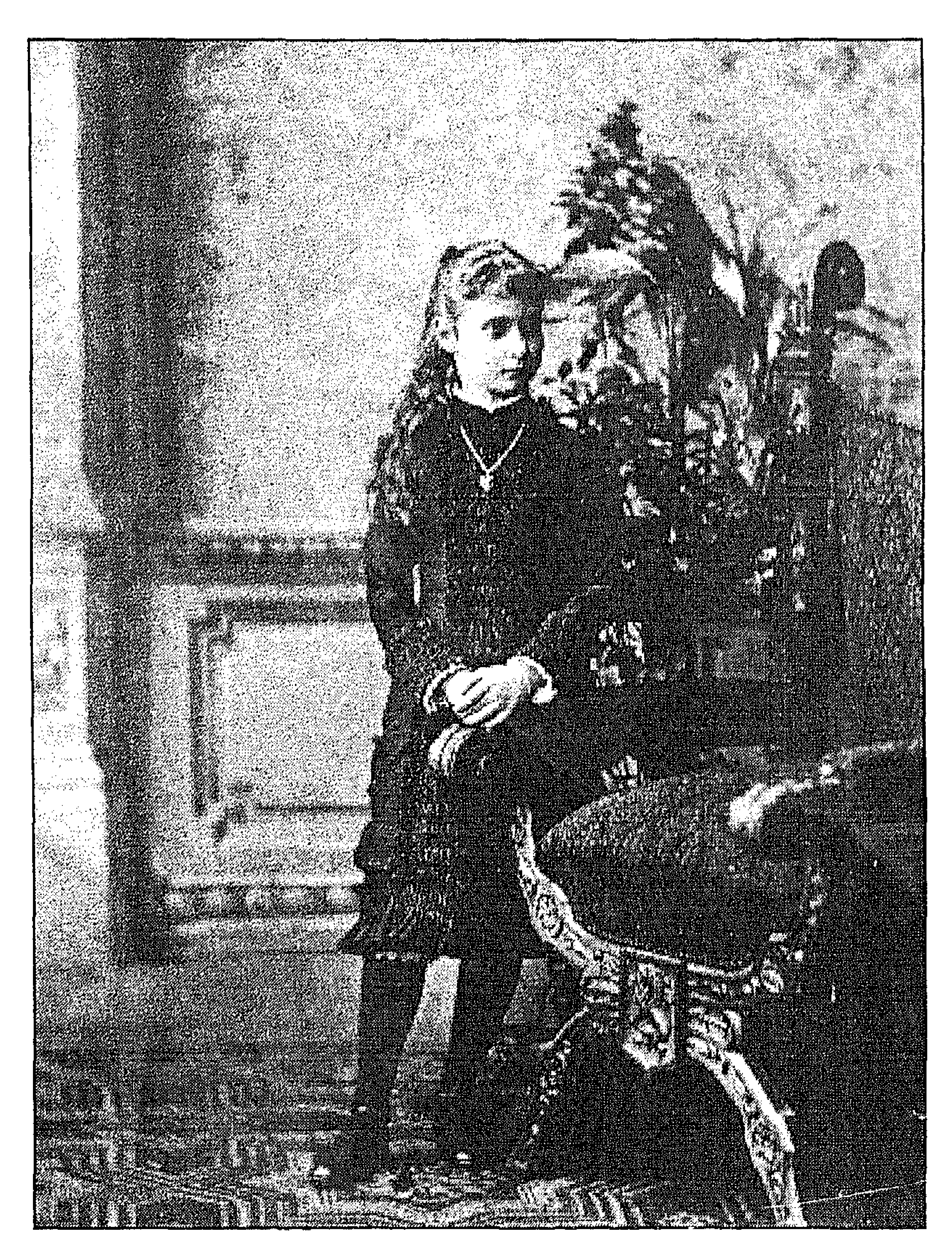
القيصرة ألكساندرا.. شابة .



الأميرات الأربع أبناء" نيقولا الثاني" فى صورة نادرة .



الأميرة الصغيرة (انستانسيا).. ابنة القيصر.. وواحدة من الأميرتين اللتين قيل أنهما نجتا من المذبحة.. ودارت حولها العديد من الحكايات.



إحدى الأميرات من بنات "نيقولا الثاني".



القيصرة الأم "داجمار" في شبابها .



ويوم أعادت روسيا دفن رفاتها !!



"راسبوتين" كما تخيلته بعض أفلام السينما العالمية.

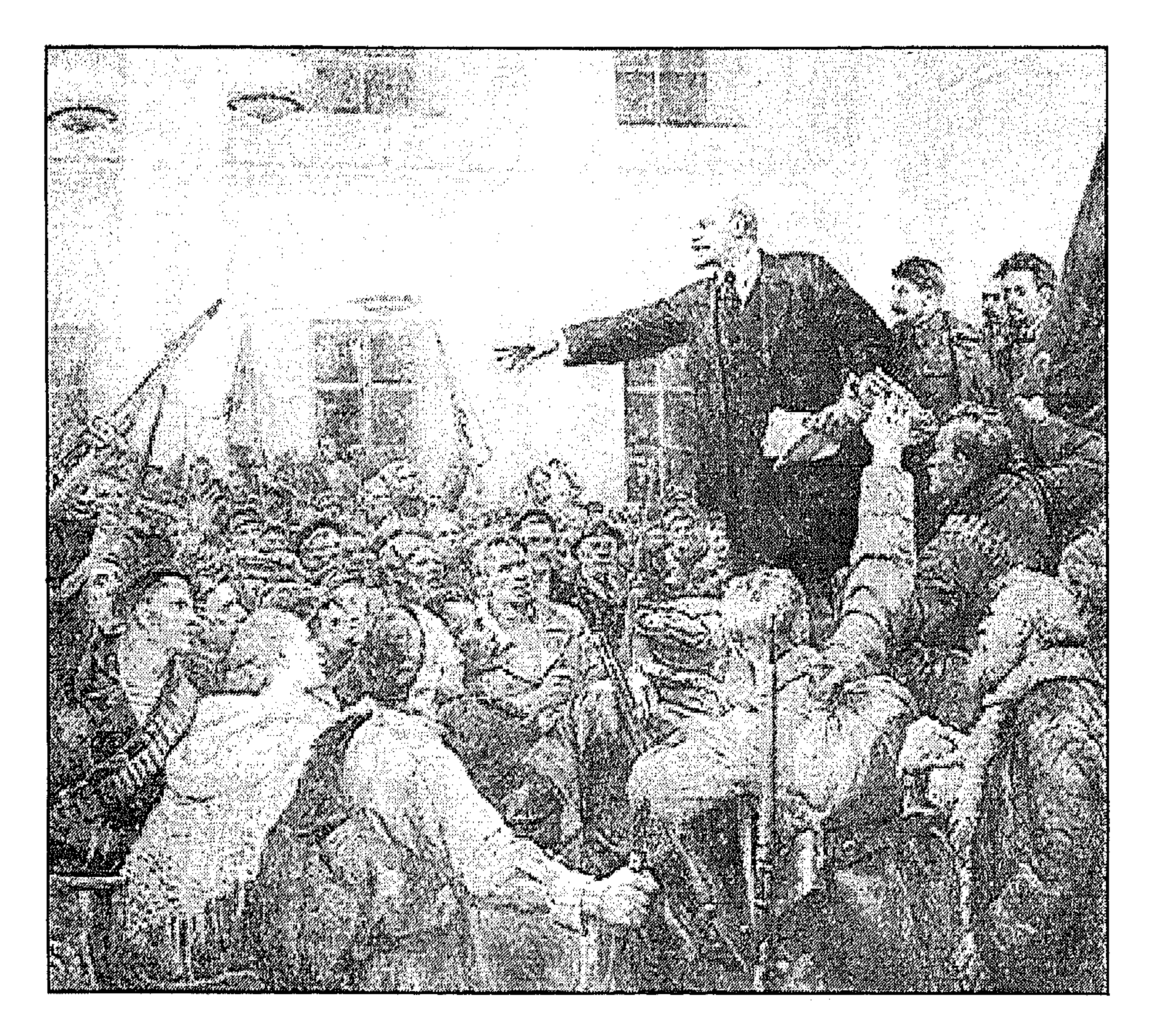
(الثورة البلشفيه)



"لينين".. طفلاً .



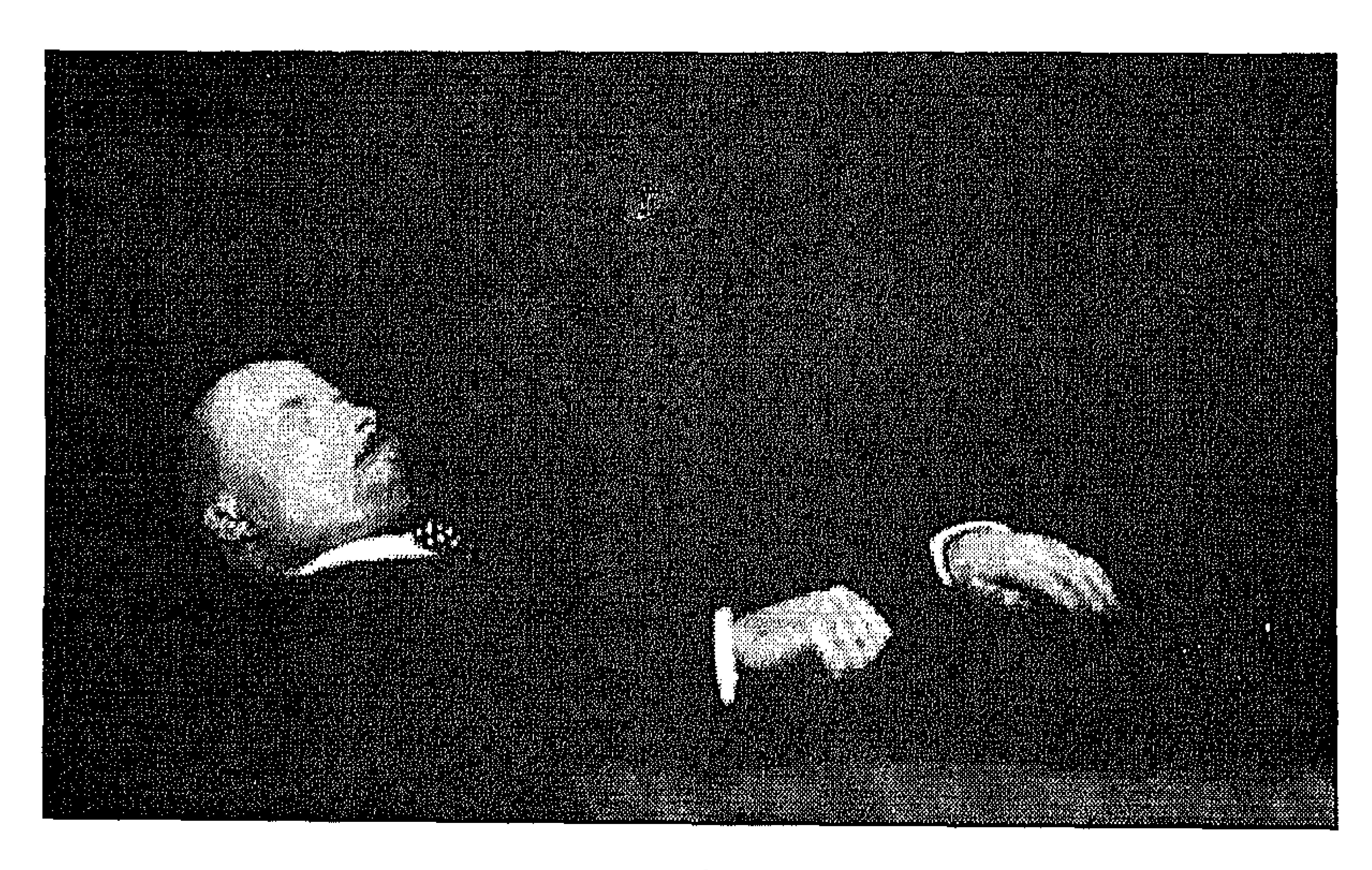
"لينين" زعيماً.



"لينين" يخطب في الجماهير.. الثائرة من ظلم نيقولا الثانى



الثورة.. وجموع الجماهير في كل مكان .



وأخيراً لنين محنطاً في تابوته الزجاجي .

ستالين.. ديكتاتورا!!







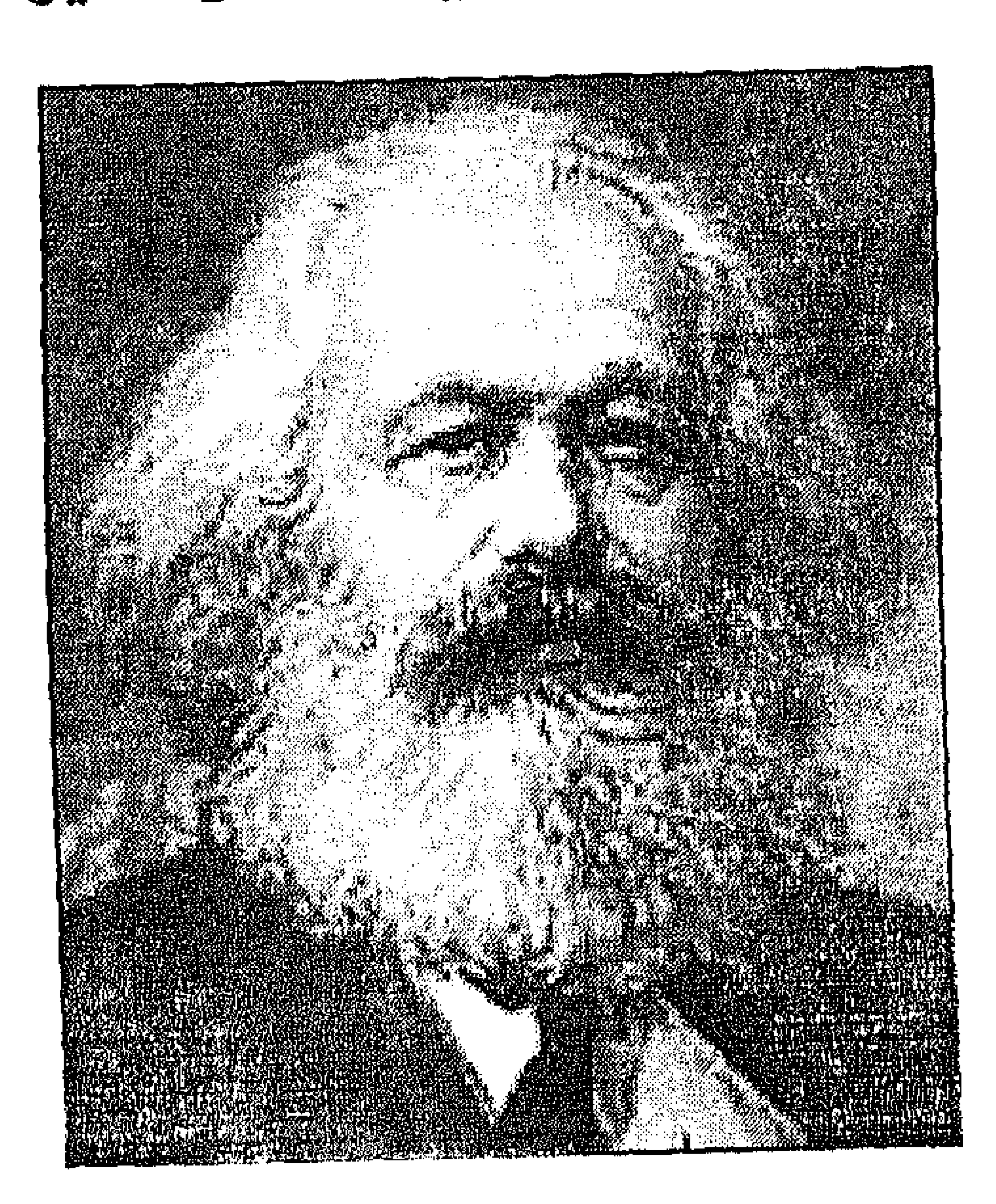


شاباً جميلاً .



وفي تابوته يوم وفاته .

"كارل ماركس".. اليهودي.. مؤسس الشيوعية.





" تروتسكي".

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست

الفهرست



Распутин, Григорий Ефимович

ومن منا لا يعرف راسبوتين..؟! أو على الأقل سمع ذات يوم عن هذا الرجل الذى جاء من رحم الغيب والمجهول.. ليقتحم صفحات التاريخ فقلبها رأسا على عقب..
رجل كان كشيطان يسكن مسوح الرهبان..
صولجانه الوهم.. كان يبيعه للبسطاء والنبلاء.. على السواء..
وحقيقته سكير وعربيد..
فضد وعكس كل ما هو منطقى.. وعقلانى سارت الأحداث بهذا الرجل.. لتنسج الأقاويل والشائعات حوله خيوط أسطورة تصعد به لقمة التفرد على جناح الشعوذة... وعلى نحو قلما يشهد التاريخ بتكراره... صفحات تلك الأسطورة كان مدادها حبرا أسود صنعه من جهل الناس وسذاجتهم.. ومحبرة ريشته التى كتب بها سطورها ... كانت بعض ضربات من الحظ.. والمصادفة فى نبوءاته التى كانت تتحقق جميعها بغرابة شديدة.. حتى تلك التى تنبأ فيها باغتياله... وانتهاء عصر القياصرة فى روسيا.. حدثت جميعها بعد مقتله... وكأنه فى تصادف ملفت للنظر.. يقتحم بقفاز نبوءاته رحم التاريخ ليولد منه أحداثا جساما هزت العالم أجمع...
ثم مضي وتركنا منذ ما يقرب من قرن من الزمان.. ونحن نبحث عن إجابة للسؤال الذى كان... ولا يزال... وقد يبقى للأبد بلا إجابة... هل كان راسبوتين معجزة حقيقية؟!.. أم شيطانا تجسد فى صورة قديس.. وجسد إنسان..؟!

W.Salama 010 15 17 873




I.S.B.N. 977-376-355-2
9 789773 763558

